18me; année no 864

Le Caire - 23 - 1 1950 —

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة شارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٦٩ — ٢٣ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

صاحب المعالى الدكتور طه حسين

من الطبيعي وقد تولى أخى طه الوزارة لصاحب الجلالة الفاروق ان تمرونى هذه النشوة التى أنعم بها منذ أيام ولا أستطيع أن أعزوها إلى مصدر واحد معين .

قد يكون مصدرها ذلك الزهو الذى يدرك الأخ حين يرى أخاه قد بلغ من مناصب الدولة مالا غاية بعده . وقد يكون مصدرها تلك الغبطة التى تعترى الأديب حين يرى أديبا نال بقلمه من السلطان والجاه مالا مطمح وراءه . وقد يكون مصدرها ذلك الرضا الذى يغمر المواطن حين يرى رجلا من رجال الرأى والعزم يتقلد وزارة من أضخم الوزارات أثرها فى المجتمع كأثر الأم فى الأسرة : تهيىء الطفل بالتربية للعلم ، وتجهز الشاب بالعلم للعمل ، وتوجه الرجل بالعمل إلى الحياة ، ولكنها على الرغم من خطرها العظيم وتبعاتها الجسام لا تزال معوّقة عن الغاية بثقل الروتين وتشتت الهوى وانقسام الرأى ؛ فلابد لها من رجل يدفعها دفعا إلى الامام بيتر الذيول ونبذ الفضول وتقصير الطول وتبسيط المركب . وقد يكون مصدر هذه النشوة أولئك جميعا ، ولذلك صعب تحديده وأعضل وصفه .

ليس بدعا أن يتقلد الوزارة كاتب لكتابته أو شاعر لشعره ، فقديما تقلدها أمثال ابن الزيات وابن العميد فى الشرق ، وأمثال ابن زيدون وابن الخطيب فى الغرب . ولكن أولئك تقلدوها والشأن شأن البلاغة والأمر أمر القلم ، أما معالى الدكتور طه فقد تولاها والشأن شأن العصب ، والأمر أمر الذهب . فاختياره للوزارة إنما يرجع إلى مزايا فيه فرضته فرضا على الحكم . وانا أعلم الناس بهذه المزايا ؛ رصدتها وهى تبزغ فى صدر الأفق ومازلت أرقبها وهى تسطع فى كبد السماء . هى مجموعة من المواهب والملكات أبرزها براعة الذهن ولطافة الحس وسرعة الخاطر وقوة الذاكرة وخصوبة القريحة ونصاعة الأسلوب وذلاقة اللسان وطواعية اللغة واتساع المعرفة . ولكن هذه الصفات على قوتها وندرتها ما كانت لتغنى هذا الغناء لولا سحر شخصيته وهى سر عظمته . وهذه الشخصية تستمد قوتها من عذوبة روحه ، وعظمتها من سمو نفسه ، وجاذبيتها من سهولة طبعه ، فهى قهارة من غير قهر ، وجبارة من غير جبروت !

والشخصية توهب ولا تكسب . والرجل من غيرها كتاب من غير عنوان ، ووجه من غير ملامح وطه منذ أيفع كان بارز الوجود ظاهر الطابع مستقل الرأى فى درسه وفى مجلسه وفى عمله . يقول ومن طبيعته أن يفعل ، ويقضى ويرى من كرامته أن ينفذ فإذا عوّقه عن فعل ما قال أو تنفيذ ما قضى معوق من طبائع الأشياء أو من خلائق الناس ، تجمعت قواه كلها على هذا المعوق لتزيله ، كما تتجمع كرات الدم المدافعة على المكروب الواغل لتبيده . ومثل هذا الخلق لازم للحكم فى هذا العهد الذى شمل فيه الحاكمون بالشكل عن الموضوع وبالوسيلة عن الغاية ؛ وهو لوزارة المعارف ألزم ؛ لأن الجهل هو مشكلة المشكلات اليوم فى مصر . فإذا لم يقيض الله لحلها رجلا كمعالى الدكتور طه عاش بالعلم وللعلم ، ظل بناؤنا على غير أساس . وسعينا على غير بصيرة

احمد حسن الزيات

الى معالي الدكتور طه حسين بك :

حبـــور وتحية

في موكب النصر والدنيا تموج بالبهجة ، دعني — ياسيدي — أتقدم فأنثر الزهر عند قدمي القائد الظافر تقديراً لفضله .

وفي فرحة الفوز والأرض تهتز حبوراً ، دعني أشق زحمة الشعب الطروب لأرتل نشيد الروح بين يدي العبقرية السامية .

وفي نشوة الطرب والجموع الزاخرة تتدافع لدى بابك تهتف باسمك الحبيب ، دعني أبلغ مجلسك لأوقع — لدى مسمعيك — لحن الخلود على قيثار قلبي ، تحية للسمو والنبوغ .

فاذا بلغت مجلسك وحاولت أن أهنئك ، فاضطرب لساني أو تعثر بياني ، فلا تلمني — ياسيدي — لأن قلبي ينبض بالبهجة ويخفق بالسرور ويتألق بالاخلاص .

* * *

أتذكر — ياسيدي — يوم أن سكبت عبرات قلبي ولوعة فؤادي على قرطاس أبثك فيه هي حين رزئت بفقد المرحوم أمين عثمان . ثم هفت نفسي إليك فلفيتني بقولك «مرحباً ،بالرجل المخلص!»

فان قصر القلم في التحية من رهبة الموقف ، أو ارتج عليّ في التهنئة من روعة المجلس ، فقل لي في هدوء الأب وعطفه «لا بأس عليك ، فأنا أسمع نبضات قلبك وأشعر بخفقات فؤادك وألمس هزات روحك ... أنت أيها الرجل المخلص !»

لا عجب،فأنت وحدك قد سموت إلى أكبر منصب في الدولة ... سموت على جناحين من شباب اليراع وسنان القلم ، على جناحين من نبوغ الأديب وعبقرية الفذ،على جناحين من إباء الشرف ونبل الكرامة .

وأنت وحدك قد ترفعت عن ترابية العقول الوضيعة وشمخت عن أرضية الأفكار السقيمة ، التي سفلت فما استطاعت أن تبلغ شأوك وهو وعر ، ولا أن ترقى إلى مكانك وهو سامق ،فانحطت عنك فانفضت من حولك لتكون أنت وحدك العلم .

وأنت وحدك استعذبت الشدة تصرعها بقوة الايمان ، واستمرأت اللمة تدمغها بسيف العقيدة،لا يقعدك تقلب الدهر ولا تصرفك غير الزمن ولا يفزعك تفرق الإخوان ، فكنت شديداً في الحق لا تلين ،عنيفاً على الباطل لا تتهاون ، صادقاً في الجهاد لا تستقر فلما انجلت الغمة وانفرجت الكربة وبلغت الغاية التي يطمئن عندها القلب وتسكن لها الجائشة ، حام حولك أناس تعروا عن الإنسانية والرجولة والكرامة جميعاً ، حاموا حولك يتمسحون في تذلل وخضوع ، فلا يغرنك ما ترى من رجال ...

وحين تقلدت منصب الوزارة ، أشرق النور في قلوب تهفو إليك بالمحبة ، وابتسم الأمل في أفئدة ترنو إليك بالإخلاص ، وتألقت السعادة في أرواح تصبو إليك بالوفاء .

فلا تنس — ياسيدي — أنك عميد الأدب ، وأن الأدباء هم تلامذتك وبطانتك وأبناؤك ، وأن الأديب رجل يعيش عمره مضطرباً في غمرات الشدة ، يترف نضارة العمر في الكد ، ويبذل غضارة الشباب في الجهد ، يعزف عن لذة الحياة ومتعة العيش إلى ضنى النفس وعناء العقل ، فلا يجد العون ولا الساعد . فكن أنت موئله وعونه .

ولا تنس أن في وزارة المعارف أدباء يصيبهم الإرهاق من أثر النظام الحكومي ، وتتقدمهم الأقدمية الفجة الخاوية ،ويسبقهم أصحاب الملق والخضوع من ذوي النفوس الوضيعة . هؤلاء الأدباء هم إباء يدفعهم عن الرجاء ، وفيهم كرامة ترفعهم عن التذلل وبهم شهامة تفزعهم عن التعبد ، فضاع حقهم في صخب المحسوبية وانطوى أملهم في ثنايا الأغراض :

ولا تنس أن بين يديك خفافيش يقتلها النور ويحييها الظلام ، وأن من خلفك ثعالب لا تفتأ تمكر وتمكر ، يلذ لهم الخداع ويطيب لهم التلون . خفافيش وثعالب فيهم الخسة والضعة أذلهم الكلب المادة واسترقهم الشره إلى المال ، فعبثوا بالحق سنوات وسنوات ، واستمتعوا برضاب الوزارة حيناً من الزمان ، وخصوا أنفسهم بالغنيمة الباردة من أموال الدولة،لم يرعوا المصلحة العامة إلاً ولا ذمة . هؤلاء هم أعداء الوطن والأمة ، فارفع السوط ... — ارفع السوط ، ياسيدي .

ولا تنس العلم ، وهو يعيش — أبداً — تطحنه شدة الإملاق ، وتعصره شدة الإرهاق .

ولا تنس — ياسيدي — آمال قوم أشرق النور في قلوبهم وهي تهفو إليك بالمحبة ، وابتسم الأمل في أفئدتهم وهي ترنو إليك بالإخلاص ، وتألقت السعادة في أرواحهم وهي تصبو إليك بالوفاء .

كامل محمود حبيب

على محمود طه

شاعر الإيحاء النفسي

للأستاذ أنور المعداوي

— ٦ —

ذات مساء ، وقد أوشك الليل أن ينتصف ، راح يقص على طرفاً من ذكرياته وحياته . . . وكان مسكنه في تلك اللحظة قد خلا إلا من صديقين : هو وأنا . وكان يعايب له في أوقات الصفاء أن يحملني على جناح الزمن إلى ماضيه ، وأن يفتح لي في قلبه كوى أطل منها على عالمه . . . ترى أكان يحس في أعماقه أن غوائل الردى ستطوي حياة يريد أن يتركها بين يدي وديعة ؟ لست أدري ! كل ما أدريه أننا في تلك الليلة قد انتهينا إلى التحليق في سماء الشعر بعد أن أرهقنا الطواف حول أرض البشر . . وهناك ونحن في السماء ، توقف عن الحديث ليسألني : ترى أي قصائدي النفسية أحب اليك ؟ وأجبته في صدق يخلو من المجاملة : « الله والشاعر » . . وسكت قليلا ليحملني من جديد على جناح الزمن إلى ماضيه ، إلى ذلك الجو النفسي الذي أملى عليه تلك القصيدة يوم أن كانت زهرة العمر تترنح تحت قطرات الندى المسكرة عند فجر الشباب . . وما أكثر تلك الأجواء النفسية التي كان يقصها علي مرتبطة بفنه ، وما أكثر ما كنت أدفعه إلى ذلك دفعاً بغية المتعة والدراسة ! وبهذا الرصيد النفسي المدخر أهيىء القول عن مفتاح شخصيته الانسانية في واقع الحياة والفن ، في ذلك الفصل الذي تطالعه بعد الفراغ من نقد الصور الوصفية في إطارها الحسي ، وسيكون عنوانه : « حياته من شعره » . . واليوم أقدم إليك الصورة النفسية الخامسة « الله والشاعر » هناك في الصفحة الثالثة والسبعين من « الملاح التائه » :

لاتفرقي بالأرض لاتفرق ... من شبح تحت الدجى عابر
ماهو إلا آدمي شقي ... سموه بين الناس بالشاعر
طغى الأسى الداوي على صوته ... بالأصدى من قلبه الناطق
مغنى بيت الدهر في خفية ... شكاية الخلق إلى الخالق
لاتعدني يارب في محنتي ... ماأنا إلا آدمي شقي
طردتني بالأمس من جنتي ... فاغفر لهذا الغاضب المحنق !
حنانك اللهم لاتغضب ... أنت الجميل الصفح جم الحنان
ما كنت في شكواي بالمذنب ... ومنك يارب أخذت الأمان
ماأنا بالزاري ولا الحاقد ... لكنني الشاكي شقاء البشر
أفنيت عمري في الأسى الخالد ... فجئت أستوحيك لطف القدر

اعلان مناقصة

تقبل المطامات بمكتب تفتيش مشروعات ري قسم الشرق بالزقازيق لغاية الساعة الثانية عشر ظهر يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٥٠ عن عملية إنشاء المصارف الحقلية المكشوفة وفروعها بمنطقتي تاموال وسندهور قليوبية مع كافة الأعمال الصناعية اللازمة لهما وتطلب المواصفات من مكتب التفتيش المذكور على ورقة تعهد فئة ٣٠ مليما نظير مقدر مبلغ ٧٥٠ مليما باليد أو ٩٠٠ مليما بالبريد . ويمكن الاطلاع على الرسومات بمكتب التفتيش المذكور وسوف لايلتفت للعطاء غير المصحوب بتأمين مؤقت كامل قدره ٢ ٪ من قيمة العطاء فضلا عن حرمان صاحبه من التعامل مع وزارة الأشغال العمومية لمدة سنة

٤٠٣٢

تمردت روحي على هيكلي ... وهيكل الجسم كما تعلم
ذاك الضعيف الرأي لم يغسل ... إلا بما يوحي إليه الدم !
يعرق حد السيف من لمه ... ويحطم الصفوان بنيانه
وينخر الجرثوم في عظمه ... ومنه ينمي القبر ديدانه !
ماهو إلا كومة من هباء ... تمحقه اللمسة من غضبتك
فكيف يثني الروح عما تشاء ... وكيف يقوى ؟ وهي من قدرتك
روحك في روحي نبت الحياه ... نزلت دنياي على فجرها
فإن جفاها ذات يوم سناه ... لاقت بليل الرمس في قبرها
ومثلما قدرت صورتها ... فروحك الصوت وروحي الصدى
طبيعة في الخلق ركبتها ... وما أرى لي في بناها يدا !
لكنما روحك من جوهر ... صاف وروحي ماصفت جوهرا
أولا ، فما للخير لم يثمر ... فيها ؟ وما للشر قد أثمرا !!
تقول روحي إنها ملهمه ... فهي لما قدرته متبعه
مقودة في سيرها مرغمه ... وإن تراءت حرة طيعه
قيدتها بالجسم في عالم ... تضج بالشهوة فيه الجسوم
كلاهما في حبه الآثم ... لم يصح من سكراه وهو الملوم
تبدي به الأجسام سحر الحياه ... في معرض يجلو غريب الفتون
تواعس الأجفان حلو الشقاء ... شديدة الإغراء شتى الفتون
ولم أكن أول مغرى بما ... أغرت به حواء أو آدما
إرث تمشى في دمي منهما ... ميراثه ينتظم العالما !!
فأنت قدرت على الشقاء ... من حيث قدرت على النعيم
وما أرى ! هل في فعلي نواه ... بالخلد أم مثواي نار الجحيم؟
ما أثمت روحي ولا أجرمت ... ولا طغى جسمي ولا استهترا
عناصر الروح بما ألهمت ... أوحت إلى الجسم فما قصرا !
كلاهما لم يعد تصويره ... ما كان إلا مثلما كونا
كم حاولا بالأمس تغييره ... فاستكبر الطبع وما أذعنا
أمنذري أنت بيوم الحساب ... ولا تمى أنت على ماجرى ؟
حماك: ما يرضيك هذا العذاب ... لطبع لم يعص ماقدرا !!
ما كنت إلا مثلما ركبت ... غرائزي ، ماشئت لا ماأشاء
فلتجزها اليوم بما قدمت ... وإن تكن مما جنته براء !
وفيم تجزي ، وهي لم تأثم ... ألست أنت الصائغ الطابعا ؟
ألم تسمها قبل باليسم ... ألم تصغ قلبها الرائعا ؟

ألم تصغها عنصراً عنصراً ... من أين ؟ ماعلمي ؟ وأنت العليم !
جبلتها يوم جبلت الثرى ... من عالم الذر ودنيا السديم
الخير والشر بها توأمان ... والحب والشهوة في طبعها
حواء والشيطان لا يبرحان ... يساقطان السحر في سمعها !
تشككت نفسي بما تنتهي ... إليه دنياها وماذا يكون !
مضت فما آبت بما تشتهي ... من حيرة الفكر وهجس الظنون !
أيصبح الإنسان هذا الرميم ... والجيفة الملقاة نهب التراب ؟
أيستحيل الكون هذا الهشيم ... والظلمة الجاثم فيها الخراب
لمن إذن تبدع تلك العقول ... أفي الردى تدرك مافاتها ؟؟
أم في غد تثوي بتلك الطلول ... ويسحق الدهر بواقيتها ؟؟
والأسفا للعالم البائد ... ليس له مما يرى مهرب
على رنين المنجل الحاصد ... مضى يغني وهو لا يطرب !
وروع الشاعر مما رآه ... وهام في الأرض على وجهه
أين ترى يا أرض يلقى عصاه ... وأي واد ضل في تيهه؟
حتى إذا شارف ظل الشجر ... في روضة غناء ريا الأديم
قد ضحكت للنور فيها الزهر ... وصفقت أوراقها للنسيم
إختار في الظل له مقعداً ... في ربوة فاتنة ساحره
أذاب فيها الشفق المسجدا ... وناعمتها النفحة العاطره
بينا يملي العين من سحرها ... إذ أبصر الصل بها مطرقا
قد انتحى الأطيار في وكرها ... فساءها من نابه موبقا
هل سمعت أذناك قصف الرعود ... في صخب البحر وعصف الرياح
هل أبصرت عيناك ركض الجنود ... في فزع الموت وهول الكفاح

إن كنت لم تبصر ولم تسمع ... فقف إلى ميدانها الأعظم
ما بين نابي ذلك الأرقم !! ... ما بين ميلادك والمصرع
جريمة الغدر وسفك الدم ... جريمة لم يخل منها مكان
يالجة كل إليها ظمى ... قد جاز طوفانك ثم القنان!
من علم الوحش الأذى والقتال ... من بث فيه الشر وألهمه؟
من علم الثعبان هذا الختال ... والحيوان الغدر من علمه ؟
أيستحق الناس هذا العقاب ... أم حانت الساعة من نقمتك ؟
ما احتملوا يارب هذا العذاب ... إلا رجاء الغوث من رحمتك!
أما ترى منفرجات الشفاه ... عن آخر الصيحات من رعبها؟
ما زال فيها من معاني الحياة ... إعادة الشكوى إلى ربها !

وهذه الأعين تهب الضياء ... في رقدة الموت كأن لم تنم
محدقات في نواحي السماء ... تشهدها هذا الأسى والألم !
وهذه الأيدي تحوط الصدور ... كأنها في موقف للصلاة
لم تنس في نزع الحياة الغرور ... ضراعة ترسمها للاله !
ما عرفوا في صمتات الردى ... إلاك من غوث ومن منجد
ولا سرى في الأرض منهم صدى ... إلا ودوى باسمك الأمجد !

ليست هذه الأبيات الثمانون هي مجموع القصيدة لأنها تربى على المائتين ، ولكنها قطوف متفرقة تؤلف بينها وحدة الجو النفسي بعد وحدة العمل الفني ، والتقاء الوحدتين في مستودع الفكر أو في ساحة الشعور .

وكما تناولنا في الصور النفسية الماضية عناصر الأداء النفسي في الشعر ، مطبقين هذه العناصر تطبيقاً فنياً وتوزيعيا على تلك الصور ، تبعا لوضوح الصلة النفسية بين كل عنصر وكل صورة ، فاننا نسلك نفس الطريق ونتبع نفس المنهج في تناولنا لهذه القصيدة الجديدة «الله والشاعر» ... وسنتحدث فيها عن هذا العنصر الفني الجديد من عناصر الأداء الذي ندعو اليه ، ونعني به عنصر « الواقعية النفسية » !

ومرة أخرى سنعرض لمظهرين من مظاهر الواقعية في الشعر هما واقعية الأداء اللفظي وواقعية الأداء النفسي ... وسواء أكانت الواقعية في منطق الدراسة المذهبية خروجا من دائرة الرومانسية وهي دائرة الخيال والأحلام والانطواء على النفس والتهجد في محراب الطبيعة إلى دائرة الوقائع الحية والأحاسيس المجردة والأفكار الخالدة والحقائق الباقية ؛ أم كانت في منطق الدراسة الفنية ألواناً مختلفة تتوزعها بضع خانات تشير إحداها إلى واقعية في حدود مجتمع إنساني خاص ، وتشير الأخرى إلى واقعية في حدود مجتمع إنساني عام وتشير الثالثة إلى واقعية في حدود الوجود الأزلي الكبير ؛ سواء أكانت هذه أم تلك فان مرجعها آخر الأمر إلى هذين المظهرين الرئيسيين ، ونعني بهما الواقعية اللفظية الواقعية النفسية !

ومرة أخرى نرفض هذه الواقعية اللفظية كما نرفض كل سمة من سمات الأداء اللفظي في الشعر ؛ نرفضها لأننا إذا سلمنا بسبب التجربة الفكرية في قوالب نثرية في كل فن من فنون القول ، فاننا لا نسلم أبدا بسبب تلك التجربة في مثل هذه القوالب في فن الشعر ... وإذا كانت التجربة الفكرية هي عماد الواقعية الاجتماعية أو عماد الواقعية الوجودية ، فانها في كل ميدان من ميادين القول المرسل تستطيع أن تنبع من أغوار الذهن وحده ، حيث تبدو الفكرة عارية من كل غلالة من الغلائل تنسج خيوطها من أعماق الهزة الوجدانية ، ولكنها في الشعر لا تستطيع أن تقف وحدها غير مدثرة بتلك الغلائل التي تكشف عن تفاعل الأصداء الكونية داخل منطقة الشعور ؛ واذن فلا مناص في شعر الأداء النفسي من أن تبدو الفكر ملفعه بسبحات الروح أو موشحة بنفحات العاطفة ، أعني لابد من أن تمتزج التجربة الفكرية بالتجربة الشعورية ذلك الامتزاج الذي تتعادل فيه النسب الفنية هنا وهناك ... عندئذ لا يجوز منطق الذهن في تعبيره النثري على منطق النفس في تعبيرها الشعري ، ولا تطغى الطاقة الفكرية ذات التجريد المادي الخالص على الطاقة الشعورية ذات التصوير المعنوي الخالص ؛ وهذا هو مفرق الطريق بين أداء يدور حول محور الواقعية بسلسلة من الخواطر الذهنية وبين أداء يدور حول المحور نفسه بسلسلة من المشاعر النفسية !

نريد في شعر الأداء النفسي هذه الواقعية النفسية ؛ الواقعية التي تفتش عن الحقائق الوجودية الكبرى في مجاهل الكون ومتاهات العقل ، حتى إذا التقطت تلك الحقائق قذفت بها إلى ذلك المصهر الكبير مصهر النفس الإنسانية ، ليخرجها لنا بعد ذلك مصبوبة في قالبها الملائم الذي تقوم بصنعه ملكة « الوعي الشعري » ... ولا بد من وجود هذه الملكة وراء كل واقعية نفسية ، لأنها هي وحدها العنصر المسئول عن تنظيم كل حقيقة كونية يعرضها الفكر في ساحة الوجود الداخلي . فاذا أغفلت هذه الملكة عن عملية الإشراف الفني العام فقد تعرضت الواقعية النفسية للذبذبة في قضايا الفكر وللمغالطة في منطق العاطفة ، وهما الجانبان اللذان يعبر عنهما في موازين النقد الحديثة «بالذبذبة الفكرية » و « المغالطة العاطفية » ! هذه المغالطة وتلك الذبذبة مرجعهما إلى غفلة الوعي الشعري على التحقيق ، وهي شيء يختلف كل الاختلاف عن ضعف الرؤية الشعرية ... إن ضعف الرؤية الشعرية يعرض الصورة الوصفية للاهتزاز الذي ينتج عنه تعذر المطابقة بين حقيقة الصورة في إطار الفن وحقيقتها في إطار الحياة ، ولكن ضعف الوعي الشعري يعرض القضية الفكرية لاهتزاز

من نوع آخر ، تنتج عنه المغالطة المقصودة أو غير المقصودة فى مجال المواءمة بين الحقائق فى دائرة الواقع النفسى أو دائرة الواقع الوجودى ! أما المثال على ضعف الرؤية الشعرية فقد قدمناه إليك فى ذلك البيت من القصيدة السابقة ونعنى بها «حانة الشعراء» ؛ وهو البيت الذى ينقل إليك هذه الصورة :

حمر الثياب تخال أنهمو يفدون من حانوت قصاب !

وأما ضعف الوعى الشعرى فنقدم عليه مثالا آخر من شعر ابن الرومى عندما يقول :

لا تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد !

ولعلك تدرك أن هذا التفسير العجيب قد حفل بالمغالطة العاطفية من جهة وبالسذاجة الفكرية من جهة أخرى ، وأنه بهذين المظهرين من مظاهر ضعف الوعى الشعرى قد قضى على الواقعية النفسية بصورة واضحة ، لأن القضية الفكرية معتمدة على الصلة الواهية بين صروف الدهر وبكاء الطفل ، قضية تخلو من منطق الواقع سواء أكان هذا المنطق فى معرض الحقيقة النفسية أم كان فى معرض الحقيقة الوجودية

ولا نظن بعد هذا أننا نضيق بالواقعية الاجتماعية فى الشعر سواء أكانت فى حدود مجتمع إنسانى خاص أم فى حدود مجتمع إنسانى عام ، وأننا لا نقبل غير هذه الواقعية التى تستمد مقومات بقائها من حقائق الوجود الأزلى الكبير ؛ كلا ، فكل واقعية تحمل فى أحشائها توأمى التجربة الفكرية والشعورية مكتملى أسباب الحياة بنسب متقاربة أو متشابهة فهى واقعية نفسية تقبل فى الشعر وتستساغ ، وإن كنا نفضل بعد ذلك هذا اللون الأخير لأنه المرآة التى تنعكس على صفحتها كل نزعة إنسانية خالدة ، أو لأنها الصفحة الأخيرة التى تلخص فى سفر الحقائق الكونية كل ماسبقها من صفحات

هذه الواقعية النفسية الوجودية التى تسير فيها لفتة الفكر جنباً إلى جنب مع خفقة القلب ، هى التى تطالعنا من قصيدة «الله والشاعر» فى أزهى حلة من حلل التصوير الفنى فى الشعر العربى الحديث ... وهى واقعية تمثل القسط المشترك من الحقائق الكبرى المتبادلة تبادلاً كونياً بين الله والإنسان ، وهى حقائق أشبه بالرواسب الفكرية والنفسية المتخلفة فى قرار الذهن البشرى منذ أقدم العصور ؛ منذ أن بدأ الركب الإنسانى يفكر فى واقع هذا السير الطويل فى طريق الحياة، ويناقش علة وجوده وغاية بقائه وما بعد فنائه ، حيث ينتظره الجزاء الحق أو غير الحق ممثلا فى عالمى الثواب والعقاب ... ونقول الجزاء الحق أو غير الحق ، ما دامت هناك صيحتان تؤمن إحداهما بأن الإنسان لا يملك أمام القوة العليا شيئاً من أمر نفسه ولا من أمر دنياه ؛ وإنما هو يُدفع فيندفع ويوجه فيتجه ويسير فيسير ، وأنه تبعاً لهذه القدرة المسلوبة والحرية المفقودة لا يجزى على [illegible] إيمان بهذا كله تفصح عنه هذه الصيحة التى تقابلها صيحة أخرى عمادها إيمان آخر، هو أن الإنسان يملك أمام القوة العليا كثيراً من أمر نفسه ومن أمر دنياه ؛ فهو قابض على الزمام لا يفلته إلا برغبته ، مبصر للطريق لا ينحرف عنه إلا بإرادته ، عليم بالحقائق لا يحيد عنها إلا بمحض هواه، فهو مخير تركت له الحرية فاذا أساء فهمها فعليه أن يتقبل ما أعد له من جزاء ، وإنه لجزاء يتسم بالحق ويتصف بالعدل ويقترن بالإنصاف !

وإذا أنت بحثت عن مكان على طه بين أصحاب الصيحتين الخالدتين فان مكانه هناك مع الفريق الأول ... هو معهم فى اتفاق النظرة واتجاه الفكرة ولكنه يفترق عنهم فى احتفاظه بإيمانه الذى لا تزعزعه كل هذه المواصف والأعاصير . إنه يتناول هذه القضية الوجودية الكبرى من زاويتين : الأولى ليدافع عن الكيان الإنسانى أمام سطوة القدر وحكمة القضاء ، مستخدماً فى دفاعه منطق الشاعر الفيلسوف الذى يعرض المقدمات عرضاً شعريا ترتضيه النفس ليخرج منها بنتائج فلسفية يرتضيها الفكر . والثانية ليعبر عن حيرته البالغة وحيرة القافلة الإنسانية حين تتخبط فى صحراء الوجود تلتمس الظل الظليل فى رحاب الواحة الإلهية ، فراراً من وطأة القيظ ولفح الهجير ! وهو بعد ذلك متأرجح بين البث والشكاة، وبين الأنين والحنين، وبين الثورة المهذبة والخضوع العميق ... وهو آخر الأمر معذب لا يدرى أين يستقر ولا إلى أى وجهة تمضى به قدماه: خطوة يأس تقذف به إلى الخلف وخطوة أمل تدفع به إلى الأمام ، ولكنه فى غمرة هذه التيارات النفسية المتباينة ضارع ممتهل لا يشك أبداً فى رحمة الله !

وفى كل هذه الأجواء التى صعد إليها بجناح الشعر تمزج

التجربة الفكرية كما قلت لك بالتجربة الشعورية ذلك الامتزاج الذى تتعادل فيه النسب الفنية هنا وهناك ؛ وإذا أنت فى قصيدة « الله والشاعر » تلتقى بالحركة العقلية أولا تتبعها الحركة الوجدانية ، كما التقيت من قبل بالحركة المادية أولا تعقبها الحركة النفسية فى قصيدة « القمر العاشق » وهذا هو جوهر التفرقة بين عنصرى الحركة الأولين فى مرحلة التجسيم الشعرى ومرحلة الواقعية الوجودية !

ولا بد فى الواقعية النفسية بعد هذا كله من تلك « اللافتات » الفكرية الضخمة التى تعترض طريق الشاعر فى دروب هذا اللون من الشعر ، وهى اللافتات التى تشير إلى « مراكز التجمع » الشعورية بعد كل نقلة من نقلات العمل الفنى ... ونرى لزاماً علينا أن نعرض بعض النماذج من هذه اللافتات الفكرية التى تنظم أوضاعها ملكة الوعى الشعرى فى كثير من الدقة والإتقان . وإليك النموذج الأول الذى يمهد به الشاعر لدفاعه الثائر عن موقف الإنسانية المخذولة فى ساحة الخالق العظيم :

لا تعدنى يارب فى محنتى ... ما أنا إلا آدمى شقى
طردتنى بالأمس من جنتى ... فاغفر لهذا الغاضب المحنق !

ويمضى الشاعر بعد ذلك فى دفاعه بعد أن طلب المغفرة ، مقدماً دليله الأول على أن هذا التمرد الروحى لا دخل للطبيعة الإنسانية فى إثارته ، ولكنه من وحى الدم الثائر فى مرجل النفس منذ الأزل حيث قدر لها أن تكون :

تمردت روحى على هيكلى ... وهيكل الجسم كما تعلم
ذاك الضعيف الرأى لم يفعل ... إلا بما يوحى إليه الدم !

ثم ينتقل من مرحلة الدفاع المهذب إلى مرحلة الاتهام المحجب الذى يتوارى خلف ركام الضعف أو خلف مظاهر الخضوع :

ما هو إلا كومة من هباء ... تمحقه اللمسة من غضبتك
فكيف يبقى الروح مما تشاء ... وكيف يقوى ؟ وهى من قدرتك !

وعند ما يفرغ من هذا الاتهام المحجب يعمد إلى الاتهام السافر الذى يخفف من حدته وضع الاعتراض موضع السؤال ، وكأنه لا ينشد العتاب وإنما ينشد الجواب .

لكنما روحك من جوهر ... صاف وروحى ما صفت جوهراً
أولا ؟ فما للخير لم يثمر ... فيها ؟ وما للشر قد أثمرا ! !

وصيحة أخرى يود أن يبرىء نفسه من كل ذنب ، وأن يبرأ عنها كل خطيئة ، ولا ضير من هذا المنطق الذى يرد ظواهر الإغراء إلى مصادرها من نفس الإنسان الأول الذى خلف لأبنائه هذا الميراث الخالد على مدار القرون :

ولم أكن أول مغرى بما ... أغرت به حواء أو آدما
إرث تمنى فى دمى منهما ... ميراثه ينتظم العالما ! !

وحين يقص عليك قصة الثعبان الذى يكمن للطير بين أكداس الزهر ليطعم معالم الحياة بألوان من السم الزعاف ، فلكى يطرق أبواب المعى الكبير لمشكلة الوجود والعدم أو مشكلة البقاء والفناء :

إن كنت لم تبصر ولم تسمع ... فقف إلى ميدانها الأعظم
ما بين ميلادك والمصرع ... ما بين نابى ذلك الأرقم ! !

هذه اللافتات الفكرية ونظائرها مما تحفل به قصيدة (الله والشاعر » يعرض لها الدكتور طه حسين بك فى الجزء الثالث من « حديث الأربعاء » حيث يقول : فأما معرفتى لشاعرنا المهندس فقد أرضتنى فلأن شخصيته الفنية محببة إلى حقاً ، فيها عناصر تعجبنى كل الإعجاب وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة التى لا حد لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض ... ولقد صحبت الملاح التائه فى قصيدة « الله والشاعر » فأحسست كل هذا الذى صورته لك آنفاً ، ورأيت رجلا لا هو بالشاك المطمئن إلى الشك ، ولا هو بالمستيقن المطمئن إلى اليقين ، ولا هو بالمنكر المستريح إلى الإنكار ، وإنما هو رجل مضطرب حقاً ، مضطرب أشد الاضطراب يؤمن بالقضاء والقدر ، ثم يثور بالقضاء والقدر ، يرضى أحكام الله ثم يجادل فيها ، يشكو ثم يستسلم ، ويستسلم ثم يشكو ، رجل حائر دائر هائم لا يستطيع أن يستقر . وأكبر الظن أنه لو استقر لكان أشقى الناس ؛ فهو سعيد بحيرته ، مغتبط بهيامه ؛ مبتهج بهذا التيه الذى دفعته إليه نفس طموح جداً لأنها نفس شاعر ، عاجزة جداً لأنها نفس إنسان » !

فقرات من نقد طويل كتبه الدكتور عن الشاعر ، أما بقية هذا النقد فسنضمه تحت المجهر فى فصل مقبل من فصول هذه الدراسة وسيكون عنوانه : « على طه فى ميزان النقاد المعاصرين »

(يتبع)

أنور المعداوى

الحب دوحة الأدب

للأستاذ عبد الفتاح الديدي

لا يستهوى الشعراء فى الحياة شيء قدرما يستهويهم الجمال ولا تجذبهم إلا مظاهر السحر فى الكون ، ولا تلفت أنظارهم سوى ملامح الشموس بين مجالى الليل ، هكذا هم دائماً ، وهكذا كانوا فى كل العصور الماضية على نحو ما ترينا النصوص والآثار التى تركوها لنا . وأعجب من هذا أنهم يمتازون بحب الجانب الذى أغفله الناس جميعاً ويهتمون بالنواحى التى لا تشغل الكثيرين ولا تهم الغالبية العظمى من الأحياء . فتجدهم مثلا يلتذون من الصمت المطبق حيث تنفرد النفس بذاتها وتأخذ فى اجترار أفكارها وتحرص على الانسجام الداخلى الخالص . أو ترى بعضهم يتغذى بمشاهد الغرابة والظلمة كما تتغذى الديدان ، فى باطن الأرض ، بالطين والجذور . وعلى هذا النحو نستطيع أن نؤكد اتجاها لم يكن بالمادى فى حياة الشعراء والأدباء من بين مخلوقات الله ، وأن نسجل عليهم ضربا من الهواية الشاذة التى لا يحياها ولا يقبل عليها سوى من ألفت روحه الانزواء والعزلة واعتادت نفسه الغربة والوحشة ومأى قلبه خفقات اليأس والحرمان

والحب من الظاهرات العادية التى تحصل فى حياة كل إنسان؛ ولكنها عند الشاعر تأخذ رسالة أخرى وتتسم بطابع معين وتتشرب بمشرب خاص . وأستطيع أن أكشف لك عن الفارق الذى يميز حب الشاعر من حب الآخرين عن طريق حقيقة نعرفها عن الأديب ، وهى أنه إنسان فردى أو إنسان لا يشترك فى الحياة العامة إلا بقدر حتى يملك الوقت الكافى لتسطير مشاعره وتحبير آرائه . فالأديب — وهذا هو ما ينبغى له — لا يعمل إلا حيث يصير الزمن فى خدمته ولا يقبل على الكتابة والتأليف إلا عندما يفارق الناس . ومهمة الأديب بطبيعتها تلزمه نوعا من الحياة لا يشاركه فيها غيره ممن تقتضى أعمالهم اختلاط الناس والانصراف إلى قضاء الأمور تحت أنظار العامة. وبعبارة موجزة نقول عن الأديب إنه بحكم عمله يأخذ برأى نيتشه فى ضرورة المحافظة على ما بينه وبين الناس من أبعاد . فهو انعزالى بالضرورة ويستحيل أن يحيا كما يحيا سواه بين مظاهر المجتمع البغيضة وتحت رحمة الأوضاع القاسية. ومن هنا يحاول الشاعر أن يوجد لنفسه عالما خاصا وأن يخلق لذاته دنيا من الأوهام التى يسلط عليها ذكاءه وقدرته على الكذب والتخيل حتى تتحول بمضى الأيام إلى واقع ملموس. وتصطبغ كل خطوة فى هذا العالم أو كل حركة تصدر عنه بشيء من الرهبة والقداسة وتأخذ ألوانا قوية فى عقله بحيث تصير موضع احترامه ومهابته

وهنا أهمس فى أذن القارىء سراً لعله لا يعرفه حتى الآن . فأنا أرجو منه أن يشك كثيراً فى حوادث الغرام التى اعتاد الشعراء أن يقصوها على ألسنتهم بمناسبة وبغير مناسبة . إن حياة الشاعر أو الأديب عموما تكون من الفراغ والتفاهة من ناحية الوقائع الجارية بحيث تخلو من أية صفات الجرأة التى تصورها القصائد . وإذا حصل شيء من الأشياء العادية فى حياته فانه — مهما بلغت بساطته — يصير ذا أهمية لديه ويحسبه النعيم المقيم والفردوس الخالد تبعاً لما يعانيه من النقص فى التجارب ومن الفقر فى العلاقات . مثله فى ذلك كمثل الطفل حين تهدى إليه لعبة فاخرة عند حلول المواسم والأعياد أو كمثل الجائع الذى تطعمه طعاما لذيذا بعد أن ظل أياما طوالا غير قادر على امتلاك ما يسد رمقه أو يشفى نهمه . فالشاعر عندما يضفى على الحادثة الطفيفة فى حياته معانى القداسة وعندما يلقى على الأفعال العادية لديه ظلا من الروعة والبهاء ؛ أو قل عندما يحاول أن يضفى على الذكرى البسيطة ضربا من الانكشاف والبروز فهو يأتى ذلك بسبب ما نرى الآن فيه — كما قلنا — من التجربة القليلة والاختبار الشخصى الضئيل . ويجيء علماء النفس بعد ذلك ليقولوا عن الشعراء أو المبالغة إن من خصائصهم الكذب ومن طبيعتهم المبالغة فى التصوير والتهويل عند سرد الوقائع . ولا يأتى هذا من الرض النفسى فى الحقيقة — كما نرى نحن فى تفسيرنا لهذه الظاهرة — وإنما يأتى من تلك الظاهرة التى أتينا عليها ، وهى أن الأديب بحكم وجوده الخالى من الأحداث الجسام والأفعال العظام قد عوض نفسه بما يحكيه من صنوف الحكايات التى ترضى كبرياءه وتريح غروره .

فالأديب إذا — أو الشاعر — بحكم ما يعانيه فى الحياة من

انزواء وبطبيعة ما تلزمه به أصول معيشته من الفردية والبقاء المستور قد أمتلأت نفسه بحب الذكريات التي مرت به على الرغم مما فيها من هزال وما تتصف به من قلة الشأن . بينما قد لا يذكر سواه ، من الناس الذين خاضوا في تجاربه هذه مئات المرات ، شيئاً مر بهم لأنهم اعتادوا في كل الأحوال وفرة وكثرة وسعة في كل الجوانب، ولو أنه صادف كل ما يصادفه الماجن العابث في أيامه الخوالي من متعة وانبساط في ملاقاة الغيد الأماليد وعشرة الغواني اللاح لما أحس في هذه الحركات بروزاً ولا وجد فيها غرابة ولا شعر بأنها موضوع للكلام والحديث

ولكن من الضروري في هذا المقام أن ننبه إلى شيء قد يفوت القارىء، وهو أن هذه الرغبة في الكذب وذلك الجنوح إلى التهويل والمبالغة لا يكونان عند الناقد الواعي محل شك وسوء ظن ، لأن التجربة التي مر بها الشاعر كما وقعت في نفسه ومثلما ألقيت في روعه لا تختلف كثيراً عما يصوره لنا في وثائقه الأدبية. والصدق كل الصدق في الاتجاه الأدبي إنما يأتي من الوفاء عند تصوير الاحساس وعند محاولة الكشف عن سذاجته الأصلية بإزاء أحداث الوجود ، فالشاعر لا يكذب عندما يغالي في سرد القصص ورواية التاريخ مهما خرج عن الحدود الحرفية لما جريات الأمور بمجرد العود إلى تذكرها من جديد ، بل يصف وصفاً ممتازاً لطبيعته النفسية عند إسقاطه لمشاعره الخاصة على الواقع الخارجي الكالح . ونحن — من وجهة النظر النقدية الخالصة — لا نطالب الشاعر بأن يكون راوية أو مؤرخاً بقدر ما نطالبه بأن يكون مصوراً يأخذ بقواعد الفن حسبما تنزل الأشياء من نفسه وعلى نحو ما تصادف المظاهر من هواه

وننتهي من هذا كله إلى أن الفنان حينما يكذب يكون مضطراً تحت تأثير الفراغ الذي يجده في معاشه والتفاهة التي يلقاها طيلة أيامه والشذوذ الذي يتسم به مزاجه . وإذا شئنا أن نتحرى الدقة في هذا الوصف فعلينا بأن نلاحظ مثلا كيف يفعل الشاعر ؟ إذ يضطر بدافع من رقبة الناس في تصيد الملامح الخاصة بالعبقرية بين الأفراد ، إلى أن يبدو في ملامح شاذة وإلى أن يظهر في الخارج ببعض الحركات والشيات التي تعبر عن جوه الداخلي ومما لا شك فيه أن دماغ الشاعر أو الأديب محتوية على كثير مما يثبت نبوغه وجدارته ، ولكن هذا النبوغ وهذه الجدارة لا يظهران الملأ على لافتة من اللافتات التي تعلن عما يكمن في ذاته وعما يختفي بين جوانحه، فيتجه بعضهم إلى التدخين مثلا وقت الكتابة والتأليف حتى يشعر بالتكبير على هيئة الغيوم التي تتصاعد في الهواء من حوله وحتى يشعر في عملية أخذ النفس ورد السيجارة — من حين إلى حين — بحركة تجسم عمله الذهني ومجهوده العقلي وتمثل اجتهاده في تصيد الأفكار ونظم الكلام.

فالعمل الفكري هو أبعد شيء عن الظهور وأغرب شيء عن روح الادعاء والرغبة في الإعلان . وهذا هو ما يبعث الغيظ في نفس الاديب ، خصوصاً وأنه ، من بين الناس جميعاً ، يمتاز ببعض الهوس في طلب الشهرة وغير قليل من الغرور والتعالي بالنسبة إلى الآخرين . ولذلك يضطر إلى شيء من الذهاب بالنفس في الخيلاء إلى حد قد يبدو غريباً أمام الذين لا يعلمون شيئاً عن الأوار الذي يلهب صدره ويشعل كيانه من الداخل .

ومن هنا نريد أن نكون حريصين عند ما نأخذ في دراسة الآثار التي تركها الأدباء والشعراء بخصوص المسائل القلبية والمشاعر المتصلة بالوجدان والعواطف التي تفرزها خيالاتهم وأوهامهم وإذا كانت من طبيعة الشاعر أن يجعل موضوع الحب محل لعنايته واهتمامه ، أو إذا كان يتجه هذا الاتجاه بالفطرة فلسبب بسيط وهو أنه يعلم تمام العلم بنوع من البديهة أن الحب، من بين المظاهر الإنسانية جميعها ، لا يكون موضع اشتراك ولا يحصل بطبيعته أمام أنظار الناس . ولذلك يسهل عليه تزوير قصصه والعبث بحكاياته والدراية على عيوبه فيه . فالحب تجربة فردية إلى أقصى درجة ولا يتم جوه إلا إذا خلصت الحياة لاثنين بالذات من بين الآدميين . ولذلك كان يستهوي الشعراء دائماً من هذه الناحية أيضاً ، ويصير موضوعاً ممتازاً من موضوعات الاستغلال المعنوي والتعبير الذاتي .

فالحب يستهوي الشعراء ويكاد يكون موضوعاً لديهم جميعاً باستثناء القليلين لسببين تكلمنا عنهما حتى الآن وأعني بهما ما في الحب من طبيعة السحر والغموض والامتلاء بالأسرار ثم ما في الحب من مجال فسيح الإشباع رغبة الفنان عندما يحاول إعطاء

حياته نوعا من الأهمية وعندما يطمع فى تغطية بعض الفراغ الذى يحيط به من كل جانب .

ثم هناك سبب ثالث وهو أن الحب مملوء بروح المأساة . وهذا فى اعتقادى هو أهم الأسباب التى تدفع الشعراء نحو تصوير عواطفهم بإزاء من يحبون ومن يصطفون بين مخلوقات الله . قد يظن البعض أن المآسى القلبية تأتى بعد انتهاء مدة الحب وفترة التواصل ووقوع الفرقة . ولكن الشىء الصحيح فى هذه الظاهرة هو أن المأساة التى هى من لوازم الحب الأصلية تملأ الشاعر بنوع من الميل وتجذبه جذبا بروائها وسحرها كما يجذب النور الأبيض فراش الليل الهائم بين أودية الظلام . فالشاعر ليس بالمالم الذى يطلب إليه ذكر الوقائع والتقيد بالأحداث ، ولا يستطيع هو نفسه أن يستكنى بالحقائق يذكرها فى غضون كلامه . ولذلك تراه مشوقا إلى الكتابة التى لاتتقيد بالأشياء المضغوطة ولايلتفت إلى المظاهر العامة وإنما ينتهز الفرصة كيما يستبيح لنفسه أن يقول ما يشاء وأن يأتى بالمعنى الذى يحشو به الألفاظ حسب هواه . وبناء على ما تقدم تراه ساعيا فى الطريق إلى استقصاء التجربة القلبية حيث يمضى ولا قيد ، ويسعى ولا رقيب ، ثم يحكى ولا ضابط .

ومن ناحية أخرى يريد الشاعر — تبعا لما لاحظناه عليه من طبيعة المثالاة — أن يسكب على وجوده معنى الألم وأن يكتشف فى حياته طابع الاستشهاد وأن يقحم على كيانه بعض ما يشعره بالهم والمأساة التى هى أصل فى كل خلق فنى والتى يصعب على الإنسان أن يحقق فكرة المرور بالتجربة من غيرها . فالدوحة عند الفنان نوع من الحث على العمل ، وباعث إلى النشاط كما يبعث الجوع واحدا من الفقراء على القيام بالأشغال فى مقابل الرزق الحلال . وإذا خلت حياة الفنان من الأحداث المروعة فهو ملزم بأن يفتش بنفسه عن الارتياع حتى يجد مجالا لإبراز مواهبه . وهذا يشبه تماما سعى الأجير من أجل الحصول على العمل الذى يفتح أمام قواه سبيلا للأداء وطريقا للنفاذ . فالشاعر بطبيعة مونته مضطر إلى أن يتطفل على حياة الآخرين حتى يجد وقودا لفنه ، حتى يجد مادة لشعره . وإذا صادف من يهيىء له أن يكون هو نفسه طرفا فى القضية وأن يشترك فى التجربة مشاركة ذاتية أصيلة فأغلب الظن أنه لايتردد ، إن لم يندفع اندفاع الأهوج الطائش ، فى أداء دوره اللازم .

ولعلنا نذكر بهذه المناسبة ما جاء فى قصيدة بودلير التى يسميها (ضميمة) من أبيات تصور هذه الحقيقة وترينا خطورة الصلة بين الألم والشاعر . فهو يقول :

كن عاقلا يا ألمى وتمسك بالهدوء أكثر من ذلك ،
فها هو ذا الليل الذى تعلنه قد هبط .
على هيئة جو دامس يكسو المدينة ،
فيحمل إلى البعض سلاما وإلى الآخرين هما .
وحينما تذهب الكثرة الخسيسة من أبناء الفناء ،
تحت سوط اللذة ...
ذلك الجلاد الذى لايرحم ...
لتجمع مباكت الضمير فى الحفل الدنس ،
اعطنى يدك يا ألمى ، وابق إلى جانبى .

فالشاعر إذ يتجه إلى الحب فإنما يفعل ذلك تحت تأثير رغبته الجامحة فى الحصول على الوقود الذى يشعل به نار فنه ، ولكى يرضى فى نفسه نزعة حامية من أجل التطلع إلى موضوع من موضوعات العمل الأدبى ، وحتى يعثر فى ذلك كله على الزيت الذى تستضىء به ذبالة روحه وتتفتح به جنبات قلبه وإذا شئنا أن ندرك عمله هنالك فى مقدرتنا أن نمثله أو نشبهه بالعصفور الذى يبحث عن الأغصان فى الغابة الفسيحة كيما يغنى من فوقها أغنية القلب المحمل بالهموم والشعور الثقل بالمتاعب والفم الذى تخرج الأنات من شفتيه خرساء .

محمد الفتاح البربرى

ادارة البلديات العامة مياه

تقبل العطاءات بادارة البلديات العامة (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٣١ — ١ — ١٩٥٠ عن عملية توريد وتركيب جهاز كلور بعملية مياه دمنهور الجديدة .

وتطلب الشروط والمواصفات من الأدارة على ورقة تمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٥٠٠ مليما خلاف أجرة البريد وكل عطاء غير مسحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ لايلتفت اليه .

٣٩٦٨

صور رجال الفكر في تركيا :

ضياء كوك آلب

ونظرته في القومية

بقلم عطا الله ترزى باشى :

هو ذلك المعروف بآرائه الاجتماعية الدقيقة واطلاعه الواسع في الفلسفة العالية — العالم التركى البحرى والمفكر الإسلامى القدير محمد ضياء الملقب بـ (كوك آلب)

وهو شاعر قوى الخيال عميق التصور رقيق الشعور ، وكاتب اجتماعى فياض العاطفة ، يسحر الإنسان برصانة أسلوبه وحصافة تفكيره وقوة تعبيره . له أبحاث قيمة فى جل نواحى النشاط العلمية والفكرية ، وأفكاره تنم عن فلسفة إسلامية راقية .

ولد بمدينة (دياربكر) سنة ١٨٧٥ م ونشأ فى بيت جل أهله علماء ، فكان والده السيد محمد توفيق — مدير التحريرات — عالماً جليلاً بث فى نفس ولده روح الأمل فى الحياة وثبت عزائمه للصمود فى مدارج العلم والأدب ، كما بذر فيه بذوراً صالحة من الفضائل حتى نبت الكثير منها فكان كوك آلب فى عنفوان شبابه ومرآة صادقة تنعكس عليها المثل العليا التى اقتبس نورها من أبيه .

دخل كوك آلب المدرسة الرشدية العسكرية وبدأ يتعلم اللغة العربية واللغة الفارسية على عمه الذى كان حجة فى اللغات الشرقية. وأحب الفرنسية فى صغره فاكتسب مبادئها حينذاك ، كما اتصل ببعض من يعرفون اللغة الكردية حتى أتقنها ، وسعى فى إجادة هذه اللغة ودراستها من شتى نواحيها دراسة عميقة وقيل أنه أراد أن يضع كتاباً فى قواعد هذه اللغة (نهاد سامى : تاريخ الأدب التركى المصور ، ص ٣٥٧ ، سنة ١٩٢٨) مما حدا ببعض الكتاب إلى الاعتقاد الخاطىء فى عنصرية هذا المصلح التركى . ومن بين هؤلاء الأستاذ محمد لطفى جمعة إذ يقول : وقد روى لى أحد الثقات . . أن كوك آلب كان كردياً . . ألف كتباً فى النحو والصرف الكرديين ... » (حياة الشرق ، ص ٢٢٥) .

ودخل كوك آلب بعد ذلك المدرسة الإعدادية وتمكن فى أثناء دراسته هناك أن يتعمق فى الفلسفة الإسلامية. وبالأخص فى علوم التصوف ..

وحدث أن مات والده وهو لم يكمل دراسته بعد . فطلب من عمه أن يساعده فى الذهاب إلى الأستانة لإتمام دراسته هناك ؛ بيد أن عمه لم يرض عن سفره ورغب فى بقائه معه فيزوجه ابنته. فأثرت هذه الواقعة — ووقائع أخرى جد مؤلمة — فى حياة كوك آلب حتى خطر على باله أن ينتحر . وفى ذات يوم أطلق على نفسه عياراً نارياً من مسدس أصاب رأسه دون أن يقضى على حياته . ويقول الأستاذ (نهاد سامى) فى كتابه السالف الذكر أن تلك الرصاصة أثرت فى حياة هذا المفكر تأثيراً عكسيا لتشاؤمه الشديد بوخامة مستقبله واشمئزازه القديم من الظروف العصبية والأحوال السيئة المحيطة به ، فأزالت جميع اضطراباته الروحية التى كان يشكو منها وخلقت له جواً مفعماً بروح التفاؤل بحيث ينبغى أن نقول إن لحظة تلك الإصابة تعد بداية تحول فى حياته ، فبدأت له حياة جديدة يسمو فيها كوك آلب إلى العلياء فى سلم التقدم الفكرى يوماً بعد يوم .

وسافر بعد ذلك إلى الأستانة والتحق بمدرسة البيطرة (الداخلية — حيث تدفع الحكومة فيها مصاريف الطلاب) . وشاءت الأقدار أن ينتسب — وهو فى الصف الرابع من هذه المدرسة — إلى الجمعيات السياسية ، فانضم إلى الجمعية السرية التى أسسها طلاب الكلية الطبية آنذاك . ولما علم أمره ألقى فى السجن تسعة أشهر نفى بعدها إلى بلدته الأصلية .

وظل هناك يدرس القرآن دراسة وافية ، ويوسع من أفق معلوماته فى العلوم الدينية ، وذلك بعد أن أحاط باللغة العربية علماً وألم بها من جميع أطرافها إلماماً كافياً حتى عد علما من أعلامها .

وعلى أثر الانقلاب العثمانى سنة ١٩٠٨ بدأ كوك آلب ينشر المقالات الفلسفية والاجتماعية الهامة فى مجلة « كنج قلم » مما لفت أنظار المفكرين فى مصره فنال استحسانهم .

وسافر بمناسبة الحروب البلقانية إلى استانبول مع هيئة الأعضاء المنتمين إلى الحزب الذى كان قد تأسس فى ذلك الوقت. وبدأ هناك ينشر المقالات العلمية والاجتماعية فى أمهات الصحف الاستانبولية حتى عُين مدرساً للفلسفة فى مدرسة دار الفنون (أنظر ابراهيم علاء الدين فى مشاهير الترك، مادة كوك الب، طبعة سنة ١٩٤٧):

وبعد الحرب العالمية الأولى نفاه الانكليز إلى جزيرة (مالطه). وبقى فيها أسيراً ثلاث سنين غادرها بعد ذلك إلى (ديار بكر) فأسس هناك مجلة (كوجوك مجموعة).

وأخيراً دعى إلى أنقرة وعين رئيساً للجنة الترجمة والنشر فى وزارة المعارف. وقد شغل هذه الوظيفة إلى أن وافته المنية سنة ١٩٢٤ م.

لقد جمع هذا المفكر العظيم بين الأدب والفلسفة فصدرت عنه أفكار أظهر فيها تمسكه الشديد بمبادىء الدين الاسلامى الحنيف إلى جانب اعتزازه القوى بأسس القومية التى هذبها وأحسن وضعها. فإنه كان قومياً غير متعصب، يدعو إلى القومية الإنسانية بكل معنى الكلمة. فلم يكن لينظر إلى غير قومه نظرة استخفاف أو استحقار، ولا ليمس كرامة قوم من الأقوام. ولم يكن كذلك يفاخر بأمجاد قومه مفاخرة الجاهلين المتعصبين، وإنما أراد أن يعظم محاسن قومه ويهذب عقول القوميين المتحمسين لما لا ينفع، ويصقل أذهانهم وينور أفكارهم؛ فبذل جهوداً جبارة فى تخطى العقبات التى تقف أمام المجتمع فى تفهم معنى القومية، وسعى كثيراً إلى إبعاد المساوىء المحيطة بعقلية القوى والمضعفة للناحية الخلقية له.

فنراه يلبس القومية ثوباً آخر غير الذى ألفنا حتى اليوم فيتخذ من القومية وسيلة يتذرع بها الانسان للوصول الى أرقى درجات الحياة الاجتماعية وتعرقب كل أمة أن تبلغ مثلها العليا التى رسمتها لها أفرادها فى ظل القومية وتحت راية الدين.

وقد نظم هذا الاديب قصائد رنانة، وعقد فصولا طويلة وبحوثاً كثيرة سلك فيها مسلك المسلم فى دينه والتركى فى لغته وأدبه. ومن تلك المنظومات «توحيد»، «الهى»، «اذان الترك» و «دعاء الجند وعقائده». الخ وهى تنم على مبادىء اسلامية وتركية مشتركة.

ويحدثنا الاستاذ نهاد سامى (فى كتابه تاريخ الادب التركى السالف الذكر) أن كوك آلب نظم قصة تسمى «يولوان ولى» قصد بها الى أن الشخص المتمسك بمبادىء دينه والمتشبع بفكرة حب القوم يكون قادراً على مسايرة أموره وتمشية أعماله ومصالحه الاجتماعية على خير ما يرام، اذ يكون ذا قوة كبيرة وصاحب قدرة خارقة يبدو فيها الاعجاز فى كل لحظة بأبهى مظاهره، ويتجلى فيها السحر والبيان بأبدع صورته

ولم يكن كوك آلب يوماً ليوقن بالقومية مالم تكن قائمة على أساس دينى قويم اذ أنه لايمكن فى الواقع تجريد القومية عن مبادىء الدين مطلقاً. فالقومى فى نظره هو من كان فى دينه مؤمناً واتخذ من لغة قومه وسيلة للتفاهم. فاليهود عنده مثلا، وان سكنوا فى تركيا سنين كثيرة، وتجنسوا بالجنسية التركية، لايجوز بوجه من الوجوه أن يعدوا أتراكا أو يعتبروا منتسبين الى القومية التركية ماداموا غير مؤمنين بما آمن به الأتراك (ويعنى به المبادىء الدينية) وانما هؤلاء وأمثالهم من غير المسلمين يطلق عليهم لفظة (وطنداش) بمعنى بنى الوطن.

ويبين لنا هذا المفكر الكبير فى كتابه (أسس القومية التركية) النظريات المختلفة لعلماء الاجتماع فى تحديد معنى القومية، فيناقشهم فيها ويعارضهم جميعاً؛ ومن ثم يوضح لنا وجهة نظره الخاصة فى ذلك. وتلكم خلاصة النظريات التى يقر بها العلماء ويدحضها الاستاذ ضياء كوك آلب:

(١) الجنس: ادعى بعض العلماء أن الشعب بمجموعه يتكون من أفراد ينتسبون الى جنس واحد تجمع بينهم روابط فسيولوجية لها علاقة بالصفات الاجتماعية.

غير أن كثيراً من علماء الفسلجة أثبتوا بالأدلة القاطعة عدم وجود أى تأثير للأوصاف الفسيولوجية على الفوارق البشرية مطلقاً. هذا وان لفظة (الجنس) اصطلاح فى الواقع يطلق على الحيوانات فيقال هذا حصان من الجنس الفلانى.

وقد أخطأ البعض بتصنيف الجنس البشرى وفقا لبعض المظاهر

الخارجية كشكل عظام الجمجمة ولون الشعر والبشرة ، وذلك لأنه لايوجد فى الوقت الحاضر شعب متصف بتلك الصفات جميعاً . فأننا اليوم نشاهد اختلافاً بيناً حتى فى صفات الأفراد المنتمين الى عائلة واحدة .

(٢) رابطة الدم : وهذه النظرية تقول ان القومية عبارة عن علاقة بين أفراد تجمعهم رابطة الدم . . . فيدعى أصحابها أن القوم (أو الشعب) بمعناه الصحيح هـــو الذى حاز أفراده صفات خاصة موجوده فى دمهم بحيث جعلتهم يمتازون عن سائر الأقوام بنقاء الدم وصفائه

ولكن هذا القول مردود من أساسه ، فالشعوب والأقوام حتى فى الأزمنة الغابرة لم تكن كما يزعمه أصحاب هـذه النظرية وذلك بسبب وقوع كثير من الحوادث التى كانت تسبب اختلاط الدماء كحالات الأسر وهروب المجرمين الى بلاد أجنبية والهجرة والازدواج الواقع بين أفراد الأمم المختلفة . . إلى غير ذلك من الوقائع التى تثبت بطلان هذه النظرية .

(٣) الوطن : فيزعم البعض أن القومية تتميز بوجود أرض مشتركة يعيش عليها أفراد يسمون بالشعب كالشعب السويسرى والشعب الايرانى .

بيد أن هذا الزعم فاسد أيضاً فان فى سويسره مثلا تسكن شعوب ثلاثة وهى الشعب الألمانى والفرنسى والايطالى ، وفى ايران يسكن الفرس والترك والكرد ؛ وليس من المعقول أن نعتبر هذه العناصر المختلفة قوماً واحداً ونطلق عليهم لفظة (الشعب) وذلك لاختلاف ألسنتهم . هذا ومن الصعوبة بمكان أن نعتبر أفراد الشعب الواحد — فيما لو كانوا يعيشون فى مواطن متعددة منتمين الى شعوب مختلفة . وبتعبير أدق لو جاز لنا أن نجزىء أمة واحدة إلى جماعات (بسبب كون أفرادها يعيشون فى بلاد معينة فانه لايصح أن نعتبر كل جماعة من هذه الجماعات شعباً يحمل اسم القطر الذى يعيش فيه .

(٤) النظرية الاسلامية : وهى تقول ان الشعب عبارة عن جماعة من الأفراد تجمعهم كلمة (الاسلام) . والواقع أن هذه اللفظة تطلق على (الأمة) لا على الشعب ، ذلك ان المسلمين فى أرجاء العالم باعتبارهم وحدة قائمة يشكلون الأمة الاسلامية . والجماعة التى تتميز بلغتها الواحدة وحضارتها المشتركة لايمكن أن تعد أمة وانما تعتبر شعباً يتجلى فيه معنى القومية . فيقول التركى مثلا انى من الأمة الاسلامية وانتمى الى الشعب التركى .

(٥) ويذهب البعض الآخر فى تفسير القومية مذهباً فردياً فيقررون لكل فرد حق الانتساب إلى أى شعب من الشعوب حسب مشيئته . فله حق اختيار الشعب الذى يرى من الأوفق أن يحيا فى ظله دون أن يمنعه من ذلك أحد .

غير أن مثل هـــذه الحرية المطلقة من الصعوبة أن نتلمسها عند فرد من الأفراد لأن النفس البشرية لاتأتلف الا اذا اتحدت فيما تشعر وتحس بحب واحد ورغبة مشتركة . ويعتقد علماء النفس فى الوقت الحاضر أن حياتنا الحسية هى الأصل وأن حياتنا الفكرية مرتبطة بها فهى اذاً حياة تبعية . وبناء على ذلك يجب أن تكون الأفكار مع الشعور على خير وفاق .

فاذا لم ترتبط أفكار الانسان بحواسه فان مثل هذا الشخص يصاب غالباً بمرض نفسانى يجعله شقياً فى الحياة مادام يعيش بعيداً عن بنى قومه . ومثل ذلك الشخص كمثل شاب يقوم بالعبادات البدنية بصورة حسية دون أن تكون أفكاره متصلة بالمبادىء الدينية فهو لذلك لايكون قادراً على موازنة نفسه

وخلافاً لذلك فان شقاء الأنسان ينقلب الى هناء ورفاه فيسعد ذلك الشقى فيما لو عاش فى أحضان قومه ، لأنه تربى وترعرع بين أناس يعطفون عليه فيميل اليهم أكثر من غيرهم . وعليه فان من العسير جداً أن يغير الانسان قوميته ويبدل أسلوب حياته لأنه ، كما قلنا ، يعيش متحسراً على حياته الماضية التى قضاها سعيداً بين أفراده ، فيبتلى بما يسمى بداء الصلة ا . (ضياء كوك آلب : أسس القومية التركية ص ١٥ — ١٩) .

وبعد أن يناقش هذه النظريات نقاشاً دقيقاً ويرد عليها نراه يوضح لنا وجهة نظره الخاصة فى تحديد معنى القومية فيستخلص المراد منها بأنها عبارة عن سمو الشعب ورقيه . والشعب فى نظره ليس بمجموعة تربط أفرادها أواصر الجنسية ، ولا هيئة سياسية أو جغرافية أو إدارية ، وإنما هى مجموعة من الأفراد تجمع بينهم روابط الدين واللغة والأدب والأخلاق المشتركة ، وبتعبير آخر اتحاد أفراد تلك الهيئة فى الحضارة الواحدة — فالقومى كما يقول القروى —

الشعر المصرى فى مائة عام

للاستاذ سيد كيلانى

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

من ١٨٨٢ — ١٩١٩

— ٧ —

وكان شوقى الشاعر الوحيد الذى اهتم بالدفاع عن اسماعيل.

أما بقية الشعراء فقد أهملوا ذلك إهمالا تاماً. بل إن منهم من شاطر كرومر رأيه فى ذلك الخديو. ومن هؤلاء حافظ ابراهيم.

وكان لورد كرومر قد كتب تقريراً ضمنه بعض الطاعن فى الدين الإسلامى. فأغضب بجهله وقصر نظره المصريين أجمعين. وقد هب الشعراء على اختلاف نزعاتهم وتباين ميولهم للنيل من كرومر. فقال شوقى:

من سب دين محمد فمحمد متمكن عند الإله رسولا

وقال الكاشف:

وختمت عهدك بالذى اهتزت له أركان مكة واستعاذت يثرب

وقال:

وتهين دينهم وتنكر عرشهم ولواءهم وتريد ألا يغضبوا

وقال أحمد نسيم — وهذا من المضحك بعد ما تقدم له من مدح فى كرومر:

يا لورد هل لك فى الإسلام من غرض
ترمى إليه بسهم منك مسنون
أندرت مدحك لو لم ترتكب شططا
فى أخرياتك من حين إلى حين
هجوت قومى وما فارقت أرضهم
حتى تجرأت أن تنحى على الدين
ألم يكن دين طه خير ما نهضت
به البـــلاد إلى علم وتمدين
فكل معتنق للدين معتقد
هاجت ثوائره من بعد تسكين
أنا المثال قضيت العمر مبتهجاً
بما أتيت بقلب فيك مفتون
رأيت أنك لست المرء تصلحنا
ولست فينا على مصر بمأمون
غادرتها وهى للتقرير صارخة
إلى الإله بقلب منك محزون
فلا رماك الحيا إلا بداجنة
تهمى عليك بزقوم وغسلين

ومن قرأ البيت الأخير من القصيدة، وقوله قبل ذلك فى لورد كرومر:

هو من ينطق بلسانى ويدين بدينى ويعنى به اتحاد القوميين فى اللغة والدين.

وقد وضع هذا المفكر الكبير مبادىء القومية الصحيحة فى كتابه السالف الذكر مقسما إياها إلى روابط اللغة والدين والأدب والأخلاق والحقوق والاقتصاد والسياسة والفلسفة، ومن ثم شرح هذه الفروع الأساسية شرحاً وافياً وقال فى مبحث (الرابطة الدينية) إن الترکى ورث عن ماضيه خزائن جد ثمينة من مواريث الدين والأخلاق ينبغى علينا — نحن الترك — أن نأخذها بنظر الاعتبار فى سلوكنا فى سبيل الرقى والحضارة. فيكفينا اليوم الرجوع إلى ماضينا لنتخذ من تراث أسلافنا مدنية عالية عظيمة نبنى عليها كيان قومنا، كما يجب ألا ننسى نصيبنا من النهضة الاوربية الحديثة بخلاف الأمم غير الاسلامية، فإنها عند اتباعها المدنية فى الوقت الحاضر عليها أن تبتعد عن ماضيها ... (وللايضاح راجع كتابه السابق الذكر).

وخلاصة الفلسفة التى يرمى إليها كوك آلب يرتكز على جعل تركيا مكونة من شعب تركى ينهض بآدابه وأخلاقه وتراث أجداده ويتمسك بالعقائد الإسلامية الصحيحة والمبادىء الدينية السليمة، كما يأخذ قسطاً وافراً من المدنية الاوربية الحاضرة.

عطا الله ترزي باشى

بغداد

فسر مع اليمن مصحوباً بأدعية يحف ركبك تعظيم وتبجيل

لم يملك بفسه من الضحك. ولاشك فى أن أحمد نسيم عبر فى هذه الأبيات عن شعور كامن فى نفسه وعاطفة دينية قوية أنسته ما دبجه قبل ذلك من إطراء وثناء فى كرومر .

وقال حافظ ابراهيم :

وأودعت تقرير الوداع مغامزا رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا
غمزت بها دين النبي ، وإننا لنغضب إن أغضبت فى القبر أحمدا

وقال من قصيدة يرثى فيها مصطفى كامل :

قم وامسح ما خطت يمين كرومر جهلا بدين الواحد القهار

وفى عام ١٩٠٨ مات مصطفى كامل فحزنت لوته الأمة بأجمعها. وبكى الشعراء لهذا المصاب الفادح .

« D D

وقد أخذ المصريون فى هذا الطور (١٨٨٢ — ١٩١٩) يهتمون بأنباء العالم الخارجى وازداد الاتصال بين أوربا ومصر . فلما قامت الحرب بين روسيا واليابان وانتصرت اليابان فى عام ١٩٠٤ ابتهج المصريون ونظم الشعراء فى ذاك القصائد الطوال .

ولما انتصر الأحرار فى تركيا وظفروا بالدستور اهتزت المشاعر فى مصر طرباً وابتهج المصريون أجمعون ، وتمنوا أن تتحقق آمالهم فى الحياة النيابية كما تحققت آمال الترك . وتاقت نفوسهم إلى الظفر بالحكم الشورى الذى تمتع به الناس فى تركيا . ونظمت فى ذلك قصائد كثيرة رائعة تفيض بالحماس وتزخر بالعواطف الوطنية الصادقة . فقال حافظ من قصيدة :

وياطالبي الدستور لاتسكنوا ولا تبيتوا على يأس، ولا تتضجروا
أعدوا له صدر المكان ، فإنني أراه على أبوابكم يتخطر

ومنها :

لقد ظفر الأتراك عدلا بسؤلهم ونحن على الآثار لا شك نظفر
هم لهم العام القديم مقدر ونحن لنا العام الجديد مقدر

وقال شوقى :

ما بين آمالك اللاتى ظفرت بها وبين (مصر) معان أنت تدريها

وقال اسماعيل صبرى :

يا مصر سيرى على آثارهم وقفى تلك المواقف فى أسنى مجاليها

لا يؤيسنك ما قالوا وما كتبوا بين البرية تضليلا وتمويها

ومنها :

يا آية الفخر هلا تنزلين كما نزلت ثم على مصر وأهليها
كيما نجر ذيولا منك جررها من قبلنا الترك فى أوطانهم تيها

* * *

ولما وقعت الحرب الطرابلسية الإيطالية اتجهت عواطف المصريين نحو الطرابلسيين . وللشعراء قصائد كثيرة فى استهجان عمل إيطاليا وفى حض المسلمين على مؤازرة أهل طرابلس .

ولما نشبت الحرب بين الدولة العلية والدول البلقانية تغنى الشعراء فى مصر بما أحرزه الترك من انتصارات .

وفى عام ١٩١٤ م اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى فى أوربا وامتد شررها فى جميع جهات العالم . وأعلنت الأحكام العرفية فى مصر ونفى شوقى إلى الأندلس . وخرس الشعراء وانقطعوا عن الخوض فى السياسة انقطاعاً تاماً .

وامتاز هذا الطور بظهور بعض المصلحين الاجتماعيين كقاسم أمين ومحمد عبده . وقد ساهم الشعراء بشعرهم فى الدعوة إلى الإصلاح . أما فيما يتعلق بالمرأة فقد انقسم الشعراء إلى شيع وأحزاب . فمنهم من ناصر هذه الدعوة وعضدها . ومنهم من حاربها وشدد النكير على أصحابها . ومنهم من توسط بين الحرية والتقييد .

ننتقل بعد ذلك إلى الدور الثالث الذى يبدأ من عام ١٩١٩ وينتهى بعام ١٩٥٠ م .

الدور الثالث

١٩١٩ — ١٩٥٠

كانت ثورة ١٩١٩ حداً فاصلا بين عصرين . عصر الاحتلال ثم الحماية . وفى هذا العصر كانت للانجليز الكلمة العليا فى كل صغيرة وكبيرة . وكان الموظفون البريطانيون متمتعين بسلطان مطلق فى كل مرافق البلاد ومصالحها . وقد عانى المصريون من ذلك ألماً عظيماً . وظهر أثر هذا فى الشعر على نحو ما بينا . وكان اليأس مخيما على النفوس ، والأمل فى الخلاص من نير الاحتلال يكاد يكون مفقوداً ، وقد عبر الشعراء عن هذا اليأس والقنوط فى شعر كثير .

فلما قامت الثورة قويت الآمال فى التخلص من نير المستعمر وأخذ الشعراء ينذرون الثورة بشعر حماسي رائع .

وقد ترتب على هذه الثورة أن ظفرت البلاد بقسط وافر من الحرية وتخلصت من نفوذ الموظفين البريطانيين . ثم تمتعت بعد ذلك بدستور ومجلس نيابى . فتغنى الشعراء بهذا النصر العظيم .

وبينما كان المصريون يجاهدون فى سبيل الحرية كانت الشعوب الشرقية تجاهد كذلك . وكان جهاد الترك أروع جهاد . وقد أحدث انتصارهم بقيادة مصطفى كمال رنة فرح وسرور فى مصر . ونهض الشعراء ونظموا القصائد الكثيرة فى مدح أبطال تركيا وإطرائهم والتنويه بانتصاراتهم .

ثم حدث أن ألغيت الخلافة العثمانية وحلت محلها حكومة جمهورية . ومع أن الخلافة العثمانية أضحت عديمة الجدوى للشعوب الإسلامية منذ زمن بعيد ، رأينا فى مصر شعراء كثيرين يبكون بكاء مراً لزوال هذه الخلافة ، وينددون بمصطفى كمال وأعوانه ويرمونهم بالكفر والإلحاد .

وبإلغاء الخلافة انقطعت كل رابطة بين مصر وتركيا وانقضى العهد الذى كان فيه الشعراء ينظمون القصائد الطوال فى مدح سلاطين آل عثمان أو فى تحية الأسطول العثمانى أو الجيش التركى ، أو غير ذلك مما رأيناه عند الشعراء إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى . وأصبح الشاعر المصرى يعيش لمصر وحدها بعد أن كان مقسم العواطف بين مصر وتركيا . وبانسلاخ تركيا عن الشرق اختفى ذكرها من الشعر العربى اختفاء تاماً .

على أن هناك روابط جديدة نشأت بين مصر والدول العربية التى قامت على أنقاض الإمبراطورية العثمانية . وكانت هذه الروابط فى أول الأمر ضعيفة . ثم أخذت الشعوب العربية تتطلع إلى مصر ، وأخذ المصريون يمدون أيديهم إلى هذه الشعوب . وكان لتقدم المواصلات أثر بين فى تقريب الشقة بين المصريين والعرب . وقد انتهى الأمر بقيام جامعة الدول العربية فأصبح الشاعر المصرى لا يعيش لمصر وحدها بل يعيش للعالم العربى . ذلك لأن الشر الذى يقع على دول من هذه الدولة قد لا يقف عند حدودها بل ربما امتد أثره إلى مصر . ولهذا السبب دخلت مصر الحرب ضد اليهود وذلك لشعورها بالخطر العظيم الذى يمكن أن يهددها بقيام دولة يهودية فى فلسطين . وقد تغنى الشعراء المصريون بالنصر الذى أحرزه الجيش المصرى ضد اليهود ، كما نوهوا بجهاد أبطال الفالوجة

ولا شك فى أن قيام دولة يهودية فى فلسطين سيدفع مصر إلى العناية بجيشها عناية لا مثيل لها من قبل فى تاريخ البلاد . وسيظهر أثر ذلك فى الشعر فنرى الشعراء يكثرون من التنويه بالجيش المصرى ومعداته وأسلحته وذخائره وبسالته وإقدامه

ووقعت فى مصر بين (١٩١٩، ١٩٢٧م) وهو العام الذى توفى فيه سعد زغلول أحداث سياسية لا نظير لها . وكان الشعراء يسجلون فى شعرهم ما يصيب البلاد من خير أو شر ، وما يلحقها من فرح أو حزن

ولما مات سعد زغلول بكته مصر قاصيها ودانيها وبكاه الشرق العربى بأجمعه ، ورثاه الشعراء فى قصائد طويلة . ولم يسبق أن رثى شخص فى العصر الحديث بمثل ما رثى به سعد زغلول . فالقصائد التى قيلت فيه عند وفاته لا يدركها الحصر . ومالبث الشعراء ينظمون القصائد الطوال احتفالا بأحياء ذكراه

إلى هنا ننتهى من الكلام عن الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية فى مصر من عام ١٨٥٠ — ١٩٥٠م

سيد كيلانى

اعلان

تعلن وزارة العـــدل عن رغبتها فى استئجـــار مبـــنى يحى عابدين أو قريبـــا منه يشتمـــل على ست غرف وقاعـــه تصلح للجلسات ويكون له فنـــاء للمتقاضين وتقـــدم الطلبات للوزارة بالدقهلـــة لقسم المبانى مباشرة فى ميعـــاد نهايته ٢٧ ينـــاير سنة ١٩٥٠ موضحـــا بها موقـــع المبنى ومشتملاته ووصفـــه مع تقـــديم رسم هندسي عنه

٤٠٠٦

سابقة الفلسفة لطلوب السنة التوجيهية (٣) :

(١) غاية الأخلاق عند أرسطو

للأستاذ كمال دسوقي

لنشرع الآن ... على ضوء ماقدمنا — في تحليل الكتاب الأول من الأخلاق النيقوماخية المطلوب اليكم دراسته تحليلا مفصلا . وفيه يتناول أرسطو بالحديث غاية الحياة على النحو الذي قلت في المقال السابق إنه يبدأ به بحثه في كل علم وفن أعني غرض مختلف الآراء والنظريات ومناقشتها ونقدها قبل الشروع في الادلاء بنظريته هو التي تجدونها — ويجب أن تطلعوا عليها ... في الكتاب العاشر (الأخير) من الأخلاق النيقوماخية في المجلد الثاني .

وإنما بدأ بدراسة الغاية but أو end لأن كل شيء في الحياة من علم أو عمل فانما له غاية يرمي اليها ، وبتحديدهـــذه الغاية تحديداً واضحاً منذ البدء يتضح السبيل أو الوسيلة moyen means إليها . بل إن الغاية نفسها هي التي كثيراً ماتعين الوسيلة المؤدية إليها ، كالصحة في الطب ، والانتصار في الحرب ، والثروة في الاقتصاد . وقد تبرر الغاية الوسيلة كما في بعض المذاهب الأخلاقية المتطرفة مما يعبر عنه مبدأ مكيا فيلي المعروف : الغاية تبرر الوسيلة أي تشفع لها وتستبيح في سبيل تحقيقها أية وسيلة مشروعة كانت أو غير مشروعة . فالغاية وإن كنا نصل إليها آخر الأمر — وقد لانستطيع الوصول إليها لعدم توفر أسبابها ووسائلها ... إنما تحدد بادىء الأمر ومن هنا لزم وجود علم (أو علوم) وفن (أو فنون) تختص بدراسة كل غاية من هذه الغايات ، وتنتهي من تعرف طبيعتها إلى وصف الطريق المؤدية إليها .

وما أكثر ماتتعدد الغايات وتتعقد — على خلاف بينها في درجة التعقيد . فمن الوسائل ماتعمل في طبها قيمتها بحيث تصبح هي الغاية . بمعنى أن تكون مقصودة لذاتها (فقرة ٢ سطر ٢) كمن يتلقى العلم لذات العلم ، أو يزاول نوعاً من الفنون كالرسم أو التصوير أو الشعر حباً في الفن ، من غير أن تكون له غاية أخرى من حب في الشهرة أو الثروة أو نحوهما . وأحياناً مايكون العمل وسيلة لغاية مرسومة ، كما في أغلب أفعالنا الانسانية التي هي في معظمها وصولية نفعية utilitaristes حتى لينكر المعاصرون وجود العلم للعلم ، وحب الفن للفن ، إمعاناً منهم بأن كل شيء لابد له من غاية تستتر وراءه وتكمن فيه . والأمر أشد عسراً حين ندرك أن من هذه الغايات ذاتها مايكون وسيلة لغاية أسمى ، فلا يقصد لذاته ، وقد يكون لهذه الغاية الثانية غاية أبعد وهكذا . ويردد أرسطو هنا ماسبق أن قال به في برهان وجود الله (العلة الأولى) من أن هذا التسلسل في الغائية ... كما كان في العلية ... لايمكن أن يكون إلى غير نهاية بل لابد أن يقف عند حد يكون هو العلة الأولى la cause finale أو علة العلل التي ليس وراءها علة ، والخير الأسمى le bon suprême الذي ليس بعده خير ، والذي هو موضوع جميع الآمال على اختلاف مذاهبها إليه .

فمن الغايات إذن ماهو جزئي وما هو كلي ، كما أن من العلوم التي تدرس هذه الغايات ماهو جزئي وما هو كلي . وإذا كان الخير غاية العلوم العملية على النحو الذي بينت في تقسيم العلوم عند أرسطو في المقال السابق ، فيكون من الخير إذن ماهو جزئي وما هو كلي . الجزئي هو الأخص الذي يتعلق بالفروع — والكلي هو الأسمى الذي يتعلق بالاصل . وهو عند أرسطو علم السياسة Politica الذي يتعلق بتدبير أمر الدولة أو المدينة (وإسمها في اليونانية Polis وإذا تذكرتم الملحوظة الثالثة التي ذكرت لكم في التعليق على لوحة العلوم الارسطية في المقال السابق الخاصة بتدرج العلوم العملية في أهميتها نحو الكثرة ، سهل عليكم أن تدفعوا ببطلان اعتراض المترجم الفرنسي (الفقرة التاسعة ص ١٧١ هامش) على أرسطو في جعل علم السياسة قمة العلوم العملية . فلما كان الفرد وحدة المجتمع ، والخلية الأولى في تكوينه ، وكان البحث في خيره وسعادته يجب ألا يتعارض مع بحث خير الدولة وسعادتها ، فقد رأى أرسطو بحق أن يخضع الأخلاق (علم تدبير الفرد) والتدبير المنزلي (تدبير الأسرة) لعلم السياسة (تدبير الدولة) حتى يكون للمجموع الهيمنة على الفرد فلا يدعه ينشد سعادته وخيره أينما شاء ومهما تعارض مع سعادة الآخرين ، وفي ذلك القضاء على الفوضى والاضطراب خصوصاً ولن مايراه هذا العلم خيراً على الجماعة فانه يفرضه على كل

أفراد هذه الجماعة باسم القانون أو العرف أو التقاليد التي يستحق من يحيد عنها جزاء من جنس عمله . ومتى كان القانون الخلقي يكفي وحده لضبط سلوك الأفراد — وليس للضمير سلطان على الكثير منهم — إلا أن يظاهره القانون الوضعي (أو المدني) ، والقانون السماوي (أو الديني) ؟ إن الفرد في نظر أرسطو حيوان اجتماعي لا وجود له منعزلا . وهي وجهة نظر الاجتماعيين وبعض علماء النفس المحدثين .

وإذ وضح أن الخير الحقيقي الأسمى للإنسان هو موضوع الأخلاق التي هي فرع من علم سياسة الدولة ، فان أرسطو يريد أن يدرس هذا الخير من وجهة نظر عامة لا في أمثلة فردية ربما كانت نتائجها شاذة — والشاذ لا حكم له ولا يقاس عليه (فقرات ١٤ إلى ١٦) خصوصاً وأن الحكم على الأشياء الجزئية يتطلب معرفة خاصة بها كما أن الحكم بطريقة عامة كلية يتطلب خبرة أوسع وتجربة أشمل ، ومن هنا جاءت عدم صلاحية الشباب — شباب السن الأحداث وشباب العقل الذين باتباعهم الهوى يعطلون ملكة العقل فتصدأ وتطيش ولا تصلح للتفكير السليم — لتقول عدم صلاحيتهم لتعاطي هذا العلم والبحث فيه . وليست غاية الأخلاق مجرد العلم بالخير ، بل رياضته ومزاولته عملياً وقبل كل شيء (ف ١٨ — ٢٠)

وفي الفصل الثاني يناقش أرسطو فكرة الخير من حيث ماينظر الناس إليها . هم مجمعون على أن الخير الأسمى هو السعادة ، والسعادة يريدون بها رغد العيش وحسن الفعل . ولما كان هذا التعريف عاماً وغير محدد ، فانه يتسع لكثير من التفسيرات التي تتفرع على طبيعة السعادة ذاتها ، وفي هذه التفريعات تختلف وجهات النظر ويتباعد الناس . ولما كانت الآراء هنا من الكثرة والنسبية (الغنى بالنسبة للفقير ، والصحة للمريض .) بحيث لا تحصر فان أرسطو يقتصر على ذكر أكثرها شيوعاً وأدناها إلى الصحة . وهنا يثير أرسطو مسألة المنهج الذي سيسير عليه في استقراء أنواع السعادة هذه . فيعتمد لأفلاطون تفكيره في البدء من الأشياء الجزئية الى المثل الكلية أو العكس مرجحا هو طريقة الانتقال من الحالات الجزئية إلى قانونها العام ، ومن الاشياء الشائعة الموجودة في الواقع بوضوح الى ماعسى أن يكون لها من علة . وبمعنى آخر من المعلومات إلى العلة ، والمسببات إلى السبب وهذا هو منهج الاستقراء Induction الذي لانزال نأخذ به حتى اليوم بوصفه أصح منهج لدراسة الاخلاق

وعلى أساس هذا المنهج القويم يصنف أرسطو السعادة عند الناس من حيث هي الحياة المنبثة إلى حياة اللذة، فالمجد والشهرة، وأخيراً حياة الحكمة والتأمل : الاولى هي حظ الدهماء والعامة وإن شاركهم فيها بعض ذوي السلطان المترفين الناعمين — وهي على أي أحوالها تجعل من أصحابها بهائم أولى منهم آدمية . والثانية (حياة المجد والشرف) أرفع شيئاً ، ولكنها توهب ولا تؤخذ ، بمعنى أنها ملك لواهبها لا لطالبها — إن شاء أعطى وإن شاء سلب — هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينبغي ألا نطلبها لما يدل عليه السعي إليها من تهافت وضعة ورغبة في التكمل بما ليس فينا ؛ أو على الأقل التثبت والاستيقان من وجوده فينا — وكلاهما شر أقل مايدل عليه أن ما نريد أن ننسبه لأنفسنا — أو ينسبه لنا الناس — (وهو الفضيلة) هو أولى بالسعي والاكتساب . والفضيلة ذاتها لا تصلح وحدها غرضاً للحياة وإلا كانت مملة — بل شراً أحياناً (ويتناولها أرسطو في الكتاب الثاني) . أما الحياة الثالثة فحياة الفكر والتأمل (وهي موضوع الكتاب الأخير من الأخلاق الأرسطية) ويعالجها أرسطو بعد أن يكون قد فرغ من تحديد الفضائل والإرادة الخلقية — لأنها أساسها .

هذا عدا حياة الثروة ، والثراء لا يمكن أن يكون غاية ؛ بل هو وسيلة نقصد لغيرها لا لذاتها — كما سيتضح أن اللذة هي عمل الحواس والأعضاء ؛ ولا تراد لذاتها .

ويعود أرسطو إلى تناول الخير بمعناه التام الدقيق في الفصل الثالث ، فلا يجد حرجا في أن يتعارض مع أستاذه أفلاطون في هذا الصدد مادام يسعى للوصول إلى الحقيقة . بل هو يأخذ على نظرية المثل الأفلاطونية هنا مآخذ كثيرة ترمي في جملتها إلى إبطال نظرية الخير الكلي أو مثال الخير الأفلاطوني يمكن تلخيصها فيما يلي :

(١) من الأمور التي تتميز فيها سلسلة من سابق ولاحق — كالأعداد — لم يستطع أصحاب المثل أنفسهم أن يقولوا بمثل لها ، لأنها تستمر إلى ما لا نهاية — وأرسطو هنا يشيد بالفيثاغوريين .

(٢) ومثل هذا يقال في ما يسميه أرسطو المقولات Catégories

وهى عشرة : جوهر وتسعة أعراض ؛ الجوهر Substance سابق على الأعراض لأنه الموضوع ، وهى محمولة عليه كما يقال فى المنطق وما دام الجوهر سابقاً على أعراضه التسعة (الكم والكيف . والزمان والمكان ، والإضافة والملك والوضع ، والفعل والانفعال) فنحن بإزاء خيرات كثيرة بمقدار ما يكون للجوهر الواحد من صور وأعراض ، وهذه الخيرات منها ما هو سابق وما هو لاحق ولا يمكن أن يوجد بينها خير مشترك .

(٣) ولو كانت نظرية المثل الكلية صحيحة فيما يتعلق بالخير ، لوجب أن يوجد علم واحد يختص بدراسة الخيرات كلها من حيث هى تندرج تحت خير كلى ، والواقع لا يؤيد ذلك ، بل يقوم لكل خير جزئى علم خاص به (ف ٤) .

(٤) وقول أفلاطون بالمثل يجعلنا بإزاء ثلاثة أشياء بدلا من اثنين ـ كما فى الإنسان ، فهناك الإنسان الجزئى المسمى زيد أو عمرو ـ يليه الصفات المشتركة بين عامة الناس ـ أى الحد الكلى والماهية فى الذهن ـ فمثال الإنسان الكامل أو الصورة التالية المفارقة التى تنزع إلى محاكاتها ولا تبلغ إليها الكائنات الإنسانية الموجودة فى عالم المثل .

(٥) وفى هذه الحالة ان يكون الخير الكلى ـ أى الخير فى ذاته أو مثال الخير ـ أكثر خيراً من الجزئى ـ إذ الفرق بين المثال الكلى والشىء الجزئى المشارك فيه هو أبدية المثال وأزليته ـ أى أنه لا أول له ولا آخر زمانياً ـ وليس من شأن التقدم فى الزمان أو الخلود فيه أن يجعل للشىء زيادة فى كم الصفة أو كيفها (ف ٦)

(٦) وحتى لو قيل إننا لا نقصد أن يكون لكل نوع من الخيرات مثاله ؛ بل إن نوعاً معيناً منها هو المثالى أو الحقيق الذى تشارك فيه بقية مُثل الخيرات ، وبمشاركة الأشياء فيه تكتسب صفة الخير ، فيكون لدينا حينئذ على الأقل نوعان من الخيرات : خيرات بذاتها وأخرى بغيرها ، ويتعذر علينا بالتالى أن نميز أيها الخير الحقيق : الخير المثالى المجرد فى عالم المثل أم الخير الواقعى فى الأشياء والأفعال . فاذا أثبتنا الخير للمثال وحده دون الأشياء المشاركة فيه فما فائدته إذن ؟ (ف ١٠) وإذا أثبتناه للأشياء المتعددة لزم أن تكون مشتركة فى حد واحد هو الخير . ولكنا نرى تعدد الخيرات بحيث لا يجمعها مثال واحد ، فمن أين إذن اتفق لها الاسم على اختلافها ؟ أبا الشبه ؟ أم المصادفة ؟ أم وحدة المصدر ؟ أم الغاية ؟ هنا يتهرب أرسطو ويقتطع الجدل دون أن يتم (ف ١٣)

بل يعود إلى صدد المثال الواحد المجرد للخير فيقول إنه لو صح وجوده قائماً بذاته لما أمكن إحرازه أو تعاطيه ويمتنع بذلك السعى أو البحث عنه .

وأرسطو حتى نهاية هذا الفصل يؤكد وجوب البحث عن الخير الجزئى لا الكلى ؛ النسبى الذى له علاقة بغيره لا المطلق القائم برأسه فى علياء المثل ؛ الخير المحسوس فى الأشياء والأفعال والعلوم الواقعية لا المجرد المعقول الذى لا سبيل إلى إدراكه أو تحصيله .

وهذه جملة اعتراضنا على نظرية الخير الكلى كما تريد المثل الافلاطونية أن تكون ـ أوردناها لك بتفصيل وتوسع ـ ولك أن تقبل منها ما تؤيده الحجة الناصعة والدليل القاطع ـ فليست كلها من الوجاهة والإنصاف بحيث تؤخذ مسلماً بها ـ ولكنها على أى حال جزء من النقد العام لأرسطو على نظرية المثل الأفلاطونية ، وعليك أن تكمل هذا النقد فى ميدان المثل الأخلاقية بنقد المثل الطبيعية فى مطلع كتابى الطبيعة وما وراء الطبيعة لأرسطو ـ مما تجد شرحاً وافياً له فى المراجع العربية التى زودتك بها فى المقال الأول ـ فارجع إليها وادرسها ـ فان نقد المثل الأفلاطونية يُعدّ حجر الأساس فى كل علم من العلوم الفلسفية التى تناولها أرسطو

كمال رسوفى

احمد حسن الزيات

يقـــدم

تاريخ الادب العـربى

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى .

طبع عشر مرات فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

علامـــة العراق

الاستاذ محمد رضا الشبيبي (١)

كنت — ولا أنفك — أنتاب مجمعه ، واختلف إلى مجلسه وأتردد إلى داره . وبيته ببغداد ، مجمع الفضلاء من أحلاف العلم، وأنصار الأدب ، وعشاق الفضل ، وأكابر البلد ، وأشراف الأمة.

كان أبوه (الجواد) رحمة الله عليه — من أعلام الكتاب وفحول الشعراء، تعبر عن مقامه المحمود في صناعة الكتابة مقاماته التي يضو لها البديع ، ولا يطاولها الحريري ، وتدل على مرتبته العالية في القريض أشعاره التي لا يقاويها القدامى حر لفظ ، ولا يضارعها المحدثون دقيق معنى . وكان أجداده من كبراء العلماء ، وأئمة المحدثين. ولا تزال آثارهم تنم على علو محلهم، وتدل على جلال شأنهم. يذكر اسم الله — تعالى — في مساجدهم ويسبح بحمده في الغـــدو والآصال . وكانت مدارسهم تغص بالمتفقهين ينفرون من كل جانب ، ويفدون من كل فج .

وقد شابه (الرضا) أباه ، وورث أجداده ، إلا أنه أحاط بأقطار الفضل ، وطوف في مناكب العلم ، وجمع الكمال بأوعى. تفقه بالنجف عند طائفة من العلماء ، وأدبه فريق من شيوخ الأدباء . وقد درس المنطق فمد من أقراده ، وأخذ الحكمة فصار من أشياخها ، وتخرج في الفلسفة فكان من أربابها ، وسمع اللغة فقيد أوابدها ، وعقل شواردها ، وهذب ألفاظها . وكتابه (المأنوس) من لغة القاموس أمارة كماله في هذا السبيل .

وأيته حافلا بعلم جم ، وفضل غزير ، وأدب طري ، ومحاسن كثيرة ، وفضائل دثرة (٢) ومناقب عديدة يزينها اثنان : تواضع العلماء ، وأناة الوزراء . وهو شاعر مجيد ، وديوانه المطبوع نبذ مختارة من مجموع كبير ضخم يحتوي على بدائع بدائهه وعيون غرره .

وهو — عند أهل الفضل — مؤرخ العراق — غير منازع — حاول أن يطلع على أخباره ، فوقف على السهم الأوفى ، وأراد أن يصيب آثاره ، فوقع إليه النصيب الأكبر. اطلعت على جزء من مجموعاته الكثيرة القيمة ، وطالعت جملة مما جمع ووضع ، وقرأت طائفة مما ألف وصنف من الكتب التي لو من على التاريخ بنشر شيء منها لكشف الأستاذ عن وجه كثير من أصول التاريخ والأدب .

ومن العجائب أنه عنى بما لا يقع في خلد أحد من الباحثين في زمنه ، المعاصرين له ؛ فلقد أفرد (البيزرة) برسالة مبسوطة ، وعنى باخراج مخطوط قديم قيم فيها . وخص (تاريخ الفلسفة) وأكابر الفلاسفة بكتاب ضخم نفيس ، وعنى (بفلاسفة اليهود في الإسلام) كابن كمونة وابن ملكان . وعالج (أدب البحث والمناظرة) وأثبت في مجموعاته تاريخ البلدان التي هبت ريحها في العلم أو كانت برزة في الأدب ، وأثبت سير رجالها المتبحرين ، وأعيانها الكملة ، وبيوتاتها الجليلة . وعنى بمؤرخ العراق (ابن الفوطي) — المتوفى سنة ٧٢٣ هـ — فأفرد سفراً مبسوطاً مطولا أثبت فيه تاريخ العراق — حينئذ — وضمنه سيرة ابن الفوطي، وإني لأظن الأمر الذي حمل الشبيبي على إخلاد ابن الفوطي ، وإخال السبب الذي جعله معنياً به ، وأحسب أن رأس ما عظمه في عينه ، هو تشابه الرجلين، فهما اللذان أرخا العراق ودونا أخباره ، وتصيدا أنباءه . وقد بر الشبيبي بابن الفوطي فأنقذ الجزء الرابع من كتابه الجليل (مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب) الذي كان نسياً منسياً في (دار الكتب الظاهرية) بالشام ، وحرره وعلق عليه وهذبه ، وأثبت سيرته في رسالة مطولة (١) —

ولقد اطلع على كثير من خزائن الكتب العتيقة بالعراق والشام ومصر وأفاد من مخطوطاتها مالا يقوى على تحصيله — اليوم — من وقف نفسه على البحث ونذر للتأليف فرصته . واعتكف في دور العلم وبيوت الأدب ، فأخذ نصيبه منها ، واقتنى كتباً نفيسة ، وجمع أسفاراً مختارة . وعنده خزانة جامعة رائعة تزينها آثاره التي

---

(١) تلا من كتابي المخطوط المسمى (رجال أعرفهم ويعرفونني) وهو أحد تآليفي التي قوامها نحو من خمسين كتاباً في اللغة والادب والتاريخ والتراجم والنسب . أودعته التعريف بطائفة من أشياخي وفئة من أصدقائي من أكابر العلماء والأدباء في العراق ومصر والشام وغيرها. وضمنته طرفا من محاسن مجالسهم ومستطرف آثارهم .

(٢) دثرة : كثيرة

(١) قرأ على الناس شيئا منها في قاعة (كلية الحقوق) ببغداد ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٠ وطبعت هذه — المحاضرة — ببغداد في ١٦ صفحة

تم على مقدار فضله ، وهي أمارة كماله . وهو جيد الخط مليح الكتابة ، له مشاركة في جميع العلوم والآداب .

لا أزال أزوره وأتردد إلى حضرته وأجتمع معه . فاذا أبطأت عليه عاتبني . ولقد منعني أن أقصد حضرته داء ألم بي ، غادرني رهين الفراش ، وتركني إلف الداء فهاجني شوق إلى مجلسه ، وثورني نزوعي نحو مجمعه ، فارتجلت هذه الأبيات وأنا نهب السقام ، وأوفدتها عليه ضحا ١٤ تشرين الأول من سنة ١٩٤٩ :

مولاي ما اخترت القطيـ ... ـعة والرضا أقصى رجائي
لكن أمنت السخط والـ ... ـأيام تبخـل بالثناء
وبقيت نضو السقم رهـ ... ـن جوى أطارحه عنائي
أتذكر الجمع الحبيـ ... ـب فأنتشي وينزول دائي
ويلم بي طيف الخيـا ... ـل وإنه خير الدواء
يا عهد جمع يارعـا ... ـك الله مزدهر الفناء
عذبت روحي بالبعـا ... ـد وروعت قلبي بالنوائي
فأذيلُ دمع صبابة ... وهوى يجمجمه (١) حيائي
من لي بأيام الوصـا ... ـل كأنها كرهت لقائي
خلفتها وتركت في ... أعطافها قلبي ورائي
ردوا إلى زمن وصـ ... ـل كنت أحضه إخائي
وأعد على حديثه ... حتى يعاودني شفائي
أفديك يا عهد الأحبـ ... ـة هل لعودك من رجاء
إن أنس لا أنس الربو ... ع يزينها ثوب البهاء
تتنفس الآداب طيـ ... ـباً في مغانيها الوضاء
وتضوع أنفاس الشما ... ئل وهي تزرى بالكباء (٢)
وتدار راح الفضل في ... جنباتها الغر الرواء (٣)
يا داره روى ثـرا ... ك على المدى طول البقاء
وسقتك يا ربع الكما ... ل من الحيا ديم الصفاء
تعروسواك النائبا ... ت وأنت مرتفع البناء

فأعجب بها وطرب إليها ، غير أني قصدته قبل أن ترد على إجابته ، وأقبلت عليه قبل أن يأتيني رده . وما أنس من الأشياء لا أنس قوله يشيد بعلمي وهو قل ويحمد ، أدبي وهو نزر ويطري بضاعتي وهي مزجاة ، ويثني على زادي وهو قليل : « أتمنى أن توفق البلاد لمكافأتك ، وهل يتاح لها أن تكافىء الأدباء العاملين ؟ ! »

شارك - حفظه الله - في الجهاد (٤) ولا ينفك لسانه العضب يقوم الأود ، ولا تزال كلماته تعدل الزيغ ولا يبرح سناه يهدي درب المجد الأبيض . لم تلهه سياحات البلد عن الاشتغال بالعلم ، ولم يتطربه (٥) تدبير الدولة ، لكنه التفت عن الدنيا وبهجتها ، وهو معروف بالإباء ، شهير بالعفة . وإنه وإن كان ذرف على الستين يعاني ما لا يصبر على الاستقلال به (٦) الشباب ولا يستطيع القيام به من يمتع بسنفوان السن .

بغداد — حسين علي محفوظ

(١) يجمجمه : يخفيه
(٢) الكباء : عود البخور
(٣) الرواء : جمع ريا
(٤) سنة ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م
(٥) تطربه : أطربه
(٦) استقل به : أطاقه

الأدب والفن في أسبوع

تعيين الأدباء بتولي وزارة المعارف :

كان لتولية الدكتور طه حسين بك وزارة المعارف موقع خاص في النفوس ، هو موقع الارتياح والغبطة ، ويرجع ذلك إلى منزلته الممتازة لدى الخاصة والعامة ، لأنه كاتب إنساني ذو رسالة إصلاحية محددة ، فهو فنان ومصلح ، وكلا الصفتين محبوب ، وقد اجتمعتا فيه ، وتفاعل مزجهما في نفسه ، فصار رجلا أريحيا خيرا ، قويا بالأريحية والخير ، يحس بقوته فيندفع إلى الجرأة والحرية في كتاباته وتصرفاته .

فلم يكن غريبا أن تعم الفرحة به إذ يتولى الوزارة ، وقد انهالت عليه بطبيعة الحال — سيول التهاني من الجماعات والأفراد ، ولست أرى بدا من ترديد المعنى القديم المكرر ، وهو أن مثل الدكتور طه حسين أو هو بالذات لا يهنأ بمنصب ما ، وإنما يهنأ المنصب به ، وما أبالي إن أديت ما أريد ، أن يكون المعنى معادا أو طريفا ، فقد تعلمنا من العميد الكبير أن تركب التعبير إلى ما نقصد . [لم يكسب الدكتور طه حسين جديدا بتولية

الوزارة ، وكل ما هنالك أنه جمع المنصب إلى مجده الأدبي الخالد، وليس المنصب الزائل بشيء إلى جانب المجد الباقي على الزمن .

وهنا أتبين في نفسي السر الذي حداني منذ أول هذه الكلمة حتى الآن إلى تجنب الديباجة الرسمية التي تنسب فيها (المعالي) إلى الوزراء ، في الحديث عن طه حسين .

إذن لا أهنيء الدكتور طه حسين بولايته وزارة المعارف، وإنما نهنيء أنفسنا . . نعم نهنيء أنفسنا بما ننتظره من خير على يده ، ولا يفوتنا أن نتصور ما يلقاه هو من عناء لا تذهب به مظاهر الوزارة وجاهها من نفس كبيرة كنفس طه حسين . والخير الذي ننتظره أن يتحقق على يده خير عام يكاد الناس يرونه محققا من الآن . . .

طه حسين الكاتب الذي يغلف مراميه لخير هذا الشعب بغلاف من الفن الممتع الجذاب، يتولى وزارة المعارف ، فلهذا يفرح الناس به ويرجون أن يحقق ما يدعو إليه دائما وما كان يتحدث به فيرجو أن يسمعه ولاة الأمر ، وها قد أصبح هو ممن بيدهم الأمر ، وقد عهد الناس في عهده السابق بوزارة المعارف بادئا بما ينتفي من الخير مصمما فيه ثم حالت الظروف دون السير في الطريق إلى نهايته .

طه حسين الذي يقول بأن التعليم حق طبيعي لكل فرد من أفراد الأمة كالماء والهواء لا ينبغي أن يرد عنه أو يحمل على شرائه بالمال كما يشترى الحصل والكراث ، طه حسين الذي يصور حال المعلمين وما يلقونه من شقاء في العمل ومواجهة أعباء العيش ويطالب لهم ما هم أهله من الحياة الكريمة ، طه حسين الذي هاله أن تلقى أسرة المازني حرجا في معيشتها بعده فطالب بأن ترعاها الدولة ، وأن تمتد هذه الرعاية إلى سائر الأدباء وأبنائهم وأسراتهم من بعدهم ، طه حسين الكاتب الذي ينبض قلبه بالإنسانية الرفيعة فيبسط شعوره الإنساني في كل ما يكتب ، يغضب لصالح المواطنين فيهجم ، أو ينهنه من غضبه فيسخر ، أو يرى القيود فيتحايل ؛ يكتب في شؤون الناس مباشرة ، وأحيانا يعود إلى تاريخ الأسلاف فيتخذ منه أغلفة يلفف بها أفكاره ومشاعره ، طه حسين الأستاذ الكبير الذي علم الجيل والتف حوله أدباء الشباب يتلقون عنه الفن ويهرعون إليه كلما حزبهم أمر أو مسهم ضر من ذوي القلوب الغلف

كشكول الأسبوع

□ جرت مناظرة يوم السبت الماضي في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية موضوعها « تقدم الأدب تقدما مرضياً في ربع القرن الأخير » أيد الرأي الدكتور أحمد أمين بك ومعالي الدكتور طه حسين بك الذي حرص على الحضور رغم مشاغل الوزارة في اليوم الثاني من تأليفها . وفاء بعهده من قبل ، وعارض الرأي الدكتور محمد عوض محمد بك. وفي العدد القادم أهم ما دار في هذه المناظرة .

□ يرشح الأستاذ أمين الخولي عميداً لكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول [illegible] أنه استقال من منصبه .

والأستاذ الخولي هو رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وهو أقدم أستاذ في الكلية ويشغل كرسي الأدب المصري ، وهو إلى ذلك من أساتذة الجيل ويختص بالعناية والتوجيه مدرسة أدبية من الشباب الجامعيين .

□ سأل مندوب « المصري » الدكتور طه حسين بك عن أسوأ المشكلات الاجتماعية في مصر ، فقال : لا تسأل عن أسوأ مشكلات مصر فحياة مصر كلها مشكلة ، وقد قال المتنبي بيتين لم يقصد بهما مصر ولكنهما يصوران شقاءها بآفاتها المختلفة أصدق تصوير ، وهما :

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال

□ يعنى الأستاذ شفيق غربال بك في الوقت الحاضر بنشر كتاب « تنعيم الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » لمؤلفه السيد محمد عمر التونسي ، والكتاب مطبوع على الحجر في باريس ، وهو يعطي فكرة عن حالة دارفور والسودان الغربي قبل عهد الوحدة .

□ عين أعضاء مجلس النواب الجديد إثنان من الأدباء المعروفين ، هما الشاعر عزيز أباظه باشا والكاتب الدكتور محمد مندور .

□ سافر في هذا الأسبوع إلى أمريكا الطالب والطالبة اللذان اختيرا لتمثيل الطلبة المصريين في مؤتمر « العالم الذي نريده » الذي دعت إليه جريدة « هيرالد تريبون » بنيويورك . وكان قد أعد لهذين الطالبين قبل سفرهما برنامج زودا فيه بمعلومات عن الآثار المصرية والدين الإسلامي وآداب المائدة وما إلى ذلك . . . وهذا حسن ولكنه يدل على نواحي نقص في تثقيف الطلبة عندنا ينبغي العمل على استكمالها لذت التثقيف بصرف النظر عن التمثيل في الخارج .

□ تم إنشاء المؤسسة الثقافية المصرية الأمريكية التي يقضي بانشائها الاتفاق الثقافي الذي عقد أخيراً بين مصر والولايات المتحدة ويتكون مكتب هذه المؤسسة من ثمانية أعضاء أمريكيين وأربعة مصريين على رأسهم الأستاذ شفيق غربال بك .

□ هاجم النقاد الأمريكيون فلم « جان دارك » وعجب بعض الناس من إطراء الانجليز له . وقد شاهدته في هذا الأسبوع فأبيت بتعليق إلى أولئك النقاد . . ولا أعجب لإطراء الانجليز وإنما عجبي لسرور الفرنسيين به ، فهو لا يمس أولئك قدر ما يمس هؤلاء الذين أحرقوا منقذتهم . .

طه حسين ذلك قد تولى وزارة المعارف ، فهاهو وزير محدد البرنامج واضح المنهج ؛ ونحن لن نتوانى عن مطالبته بالعمل لتنفيذ برنامجه ما استطاع اليه سبيلا ، وأنا لا أقول بأن كل ما يكتبه الكاتب يستطيعه إذا وكل إليه الأمر ، فالكاتب يرسم المثل وقد يقصر من يتصدى للعمل على تطبيقها عن غايتها ، ولكن يحسبنا أن نراه جاداً في السبيل ماضياً إلى الهدف .

وقد بقي شيء أريد أن أهمس به في أذن معالي الوزير — ولا بأس هنا بقليل من الرسميات — أريد أن أقول له : لا يغرنك ما ترى من أناس أنت تعرفهم لأنك تراهم الآن حولك يمجدون « الردنجوت » كما كانوا يصنعون في عهدك الأول بوزارة المعارف ولم ترهم منذ ذلك الحين

مناقشة في أزمة الزواج :

جرت هذه المناقشة في « رابطة مصر أوربا » يوم الثلاثاء الماضي ، بين الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف بك والأستاذ مظهر سعيد والسيدة مفيدة عبد الرحمن والسيدة أمينة السعيد.

كان الاستاذ خلاف هو مدير الندوة ومنظم الحديث والنقاش فيها بدأ بتمهيد في بيان أهمية الزواج وقال إنه لا يعرف بالضبط هل هناك أزمة زواج بمعنى الإضراب عنه أولا، ولكن الأزمة توجد على الأقل في الحياة الزوجية نفسها . ثم تلته السيدة أمينة ، فقالت إنه ليس في مصر أزمة زواج على وجه عام واستدلت بإحصائية صدرت سنة ١٩٣٧ ، يتبين منها أن نسبة الرجال المتزوجين في مصر نحو ٦٨٪ ، وقالت إن أكثر غير المتزوجين هم من شبان الطبقة المتوسطة المتعلمين ، أما غيرهم من الفقراء والأغنياء فاقبالهم على الزواج ظاهر ملموس .

وتكلم بعد ذلك الاستاذ مظهر سعيد، فقال إن أزمة الزواج المحصورة في المتعلمين من الطبقة المتوسطة هي في الحقيقة أزمة الزواج في السن المتأخرة لأن الشاب يبدأ حياته في الوظيفة بمرتب ضئيل ويتهيب الزواج منتظراً حتى تتحسن حالته المالية . ومن ناحية أخرى ينظر الشاب إلى مستقبله فيراه رهنا بالصلات والوساطات وليس للكفاية والعمل أي اعتبار ، فهو يلبث حتى يحصل على الدرجة الخامسة مثلا ليستطيع أن يتقدم إلى أحد الكبار من ذوي النفوذ ليصاهره فيستعين بجاهه

أما السيدة مفيدة فقد أرجعت الأزمة لا إلى الأسباب الاقتصادية فحسب ، بل اعتبرت الناحية الاجتماعية أهم من العوامل الاقتصادية ؛ فأفاضت في الكلام عن عدم إعداد الفتاة للحياة البيتية إعداداً صحيحا وتقصير الدولة في رعاية الأسرة والأطفال ، وتحدثت كذلك عن الحالة الخلقية السيئة التي أنغمست فيها الفتاة بانعدام الرقابة عليها .

ولخص خلاف بك الموقف بعد ذلك ، وأضاف إلى ما ذكر من أسباب الأزمة ميل الشاب إلى التخفف من التبعات وإيثاره المتعة المتنوعة الرخيصة ، والاستنارة العامة التي تدفع إلى طلب المستوى العالي في جمال الفتاة وثقافتها .

وعادت السيدة أمينة إلى الحديث فجذبت الزواج المتأخر ذاهبة إلى أن الرجل في مقتبل شبابه يعجبه في المرأة مالا يعجبه إذا تقدم في السن إذ يرتفع مستوى ما يطلبه من جمال أكثر من قبل ، فإذا تزوج مبكرا أدى ذلك إلى عدم الاتفاق فيما بعد . ومما قالته أن حالة الزواج في مصر أسعد منها في البلاد الأجنبية الغربية سواء من حيث نسبة الزواج أو من حيث السعادة الزوجية، لأن الزوجين العاملين هناك لا يلتقيان إلا متعبين مكدودين .

ولما عاد الأستاذ مظهر إلى الكلام قال انه يرجع الأزمة إلى عامل نفسي أهم من الاقتصاديات والاجتماعيات ، ذلك أن الشاب لا يشعر بالاستقرار في هذه الحياة المضطربة ، والنفسية غير المستقرة تهيب الإقدام على الأمور . وهون الأستاذ من شأن الناحية الاقتصادية بأن الشاب المزب ينفق وحده ما يكفي زوجين ، وذهب إلى أن أسباب المتعة المحرمة غير ميسورة كما يقال . وركز الموضوع في الناحية النفسية وقال إن حل المشاكل إنما هو في القضاء على أسباب الحيرة والاضطراب ليصل الشاب إلى الطمأنينة النفسية التي تدفعه إلى الإيمان بالله وأن لكل مخلوق رزقه أو إلى الثقة بنفسه وهمته .

وقد جرت المناقشة هادئة يكاد يتفق المتناقشون في الرأي . وكان المتخيل من تأليف المتناقشين أنهم جبهتان جبهة الرجل وجبهة المرأة ؛ ولكن الذي وقع هو الخلاف في بعض النقط بين السيدتين ... فكادت المعركة الكلامية تنشب بينهما لولا جنوحهما آخر الأمر إلى الملاينة وإيثارهما المحاسنة ، فكانت كل

٣٤ . ٩

السراب

الأستاذ ثروت أباظة

هى القصة الرائعة التى أعيها الفنان العبقرى نجيب محفوظ ، وقد أدار حوادثها فى بيئة متوسطة ليست بالوفيرة الغنى ولا هى بالمدقعة الفقر .

أطلق الأستاذ نجيب قصته على لسان شاب فى طريقه إلى إغلاق الحلقة الثالثة من عمره . . فهو يقص علينا حياته بادئا بالفطام منتهيا بما يرفع عنه القلم ... وقد عاش حوله أشخاص كثيرون كان شأن نجيب معهم شأنه دائما مع شخصياته جميعا ، يمسك بزمامهم فى قوة المتمكن العتيد ويحركهم فى دوائرهم المرسومة راسما فى كل حركة من حركاتهم خطا بصور ماتنضم عليه نفوسهم من خير أو شر فتعرفهم وتعيش معهم فكأنهم أصدقاء المعردون أن يقدموهم لك القاص ودون أن يقدموا هم أنفسهم ... بحسبهم وبحسبك أن يسيرهم نجيب وأن تتابع أنت سيرهم فإذا هم الأصدقاء القدماء أو هم — على التقدير المتواضع — أناس عرفتهم فأحسنت المعرفة .

بطل القصة (كامل رؤبه) يتابعه نجيب أو هو يتركه يتابع نفسه ويروى لنا أنه نشأ كعود وحيد فى حقل كبير لا يعتنى به إلا الأرض وصاحب الحقل ، وقد كانت أرض (رؤبه) أمه وكان صاحب الحقل جده . وهكذا كان الولد مشدودا فى طفولته إلى فستان أمه أيا كان نوع هذا الفستان فهو معها فى كل مكان وهى تأبى عليه الا أن يكون كذلك . حرمت عليه لعب الأطفال وحرمت عليه الخروج حتى إذا ماذهب إلى المدرسة عجز عن رد السخرية بل عجز عن الكلام حتى لتسمعه حين يسرح يقول للأستاذ (يابنينه) فتبقى الكلمة علما عليه طول أيامه فى هذه المدرسة . . ولم تكن الأم بالمثقفة حتى تفتح ذهنه إلى شىء . كل ماعلمه عن الحياة ان له أماً وله جداً وله أبا سكيراً لم يقم مع أمه

منهما مثالا للسيدة المثقفة ، وقد اختلفتا فى ثلاث نقط الأولى أن السيدة مفيدة اعترضت على إحصائية سنة ١٩٣٧ إذ تغيرت الأحوال بعدها ، فاحتدت السيدة أمينة فى الرد قائلة إن زميلتها سألتها فيما بينهما لماذا أتت بالإحصائية القديمة فأجابتها بأنها آخر إحصائية ، ثم استغلت ذلك فى المناقشة العلنية . وأبانت السيدة أمينة أن الأقبال على الزواج زاد فى خلال الحرب ثم رجعت الحال إلى ما كانت عليه ، ولكن من أين عرفت ذلك وهى نفسها تقول إن إحصائية سنة ١٩٣٧ هى آخر إحصائية ؟ والنقطة الثانية هى أن السيدة مفيدة عارضت تحبيذ الزواج المتأخر ، وأقامت التهمة فى تغير الرجل وانعدام حبه لزوجته الى الزوجة ، لأنها لا تظل على العناية بنظافتها ومظهرها التى تكون فى أول عهد الزواج ، بل تهمل نفسها بحيث لا يراها الزوج على ما يحب . أما النقطة الثالثة فهى مسألة الزوجين العاملين فقد دافعت السيدة مفيدة عن هذه الزوجية وقالت ان الواقع ينطق بما فيها من السعادة والوفاق .

وقد لاحظت أن الجميع اتفقوا على النهوض من شأن أزمة الزواج حتى كادوا يقولون بأنها غير موجودة . ثم استرسلوا بعد ذلك فى بسط الأسباب الداعية حتما إلى أزمة لاشك فيها ... والواقع أن الحال أشد مما صوروها ، فالأزمة وان كان محصورة حقا فى شباب الطبقة المتوسطة إلا أنها قائمة بينهم بدرجة خطيرة ، وهم خلاصة أبناء الأمة الذين يعول عليهم فى شئونها ومستقبلها .

ولم تخل الندوة من بعض الدعابات والفكاهات ، فقد لاحظ الحاضرون أن السيدة أمينة تكثر من كلمة « مظهر » حتى قالت عن شىء إنه مظهر سىء . فقال خلاف بك : لا إنه « مظهر سعيد » وقدم السيدة مفيدة أخيرا بقوله : والخلاصة المفيدة تسمعونها من السيدة مفيدة ...

ومما حكاه الأستاذ مظهر سعيد من التندر على الزواج أن أحد المدرسين كان مرافقا لتلاميذه فى رحلة بحديقة الحيوان ؛ فرأى تلميذ حمارا وحشيا يجرى وراء أتان ، فسأل المدرس عن سبب ذلك ، قال المدرس : إنه يريد أن يتزوجها : قال التلميذ : وهل يتزوج الحمير ؟ فقال المدرس : وهل يتزوج إلا الحمير ... ؟

عباس خضر

أكثر من شهور متفرقة . . أنجبت أو هي في الحقيقة جابت فيها إلى الحياة ثلاثة أفراد : . بنتا وولدين كان بطلنا صغيرهم — عاش مع أمه التي تعيش مع أبيها الضابط المتقاعد . . هذا هو كل ما عرفه كامل ، وهذا هو ما ظل يعرفه من أمور الدنيا حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، فهو شخص خامل جبان ، يخاف الحياة ويخاف الموت ، ويخاف الناس ويخاف نفسه ، غبي ، ضعيف الارادة . . يجهم التافه من الأمور ، يتعثر في خطاه كلما مشى ... ولكنه هو الذي يضع العراقيل التي يتعثر بها . لم يكن من بد أن يتعثر في الدراسة أيضا فنال شهادة البكالوريا لا هنا وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، ومنعته سنه الكبيرة أن يحقق أمنية جده بدخوله الكلية الحربية فينحرف عنها مضطراً إلى كلية الحقوق ، وكل ما يسره فيها أنه لن يضرب ... وقد حدث ما سره فعلا فلم يضربه أستاذ بعصا ، ولكن أستاذ الخطابة فعل به ما هو أنكى ، فطلب إليه أن يخطب إخوانه فوقف على المنصة ليصمت وليستدعي هزء إخوانه ثم ليولي وجهه شطر الباب ويخرج . . ويخرج إلى غير رجعه ، فقد صمم على أن يكتفي من التعليم — أو الشهادات فهو لم يتعلم — بما نال ، يسعى بها لدى الحكومة فتعينه ويصير موظفا بوزارة الحربية . يموت جده وقد كان يحمل عنه عبء البيت بما يقبضه من معاش حتى إذا قبضه الله إليه حار (كامل) فيما يفعل ، ولكن الأم تهون عليه وتترك بيتهم الكبير إلى شقة صغيرة وتستقيم الحياة في ظاهرها ولكن كاملا الملتوي لابد أن يلوي الحياة معه ... فهو في حياة جده كان قد أغرته كثرة المال كما اغراه خوفه وضعفه بشرب الخمر التي نكبت أسرته جميعا وصدعت شملهم ولكنه يجد حين يحسوها جرأة لايجدها في نفسه اطلاقا . جبان هكذا هو دائما ، رعديد يخشى الحياة بنفسه وبعقله فهو يذيب عقله الخائف ، ويغمر نفسه الهالعة في كأس الخمر ، ولكنه حين مات جده لم يجد ما يكفيه لشربها أو هو على الأقل لم يجد ما يداوم به على شربها .

أم جهول وإن فبي ! ماذا نرجو ؟ نعم . . لقد شب الطفل خسيس النفس يستعين بجسمه على إخماد غريزته ، فلم يجد من يبصره بالعاقبة أو من يعالجه بما يعالج به المراهق — فأفرط حتى تمكنت منه العاده ... وقد أثارتها في نفسه خادمة قبيحة عندهم وجدتها أمه معه فطردتها وأخبرته انه أنى إثما كبيرا ؛ فلم يفهم غير هـــذا حتى إذا تقدم خاطب لأمه قفز الاثم الكبير إلى ذهنه وساءل أمه فأخبرته أن الزواج علاقة يباركها الرحمن ولم تزد ، ورفضت الخطبة ، فاختلفت الأمور بذهنه فأكب يجلد نفسه بنفسه حتى أصبح لايطيق إلا هذا . ولما كانت الخادمة قبيحة فإنه شـــب لا يثير حيوانيته إلا المرأة القبيحة ، أما الجميلة فإنه يشرئب إليها بروحه ناسيا أنه رجل .

ظل كذلك حتى أحب ابنة الجار لهم وأراد الزواج بها فوقف في سبيله فقره الذي صار إليه وحياؤه الذي نشأ معه ، واستطاع مرتين تحت وطأة الحب الجارف أن يذهب إلى أبيه يطلب منه العون على الزواج ؛ ولكن الأب يفهمه في المرة الأولى ان لا مال لديه وفي المرة الثانية يتحسس الأب في كلام ابنه معنى التهديد ، ولما كان هو قد حاول قتل أبيه فأخفق ، الأمر الذي جعل أباه يحرمه ميراثه لما كان كذلك ، فإنه يغضب ، ويتجسم كلام ابنه في ذهنه تهديدا صريحا فيطرده ، ويخرج الابن يائساً ولكن لايطول به اليأس بل يموت أبوه ويرث عنه ما يكفيه للزواج فيقبل لا بشجعه عليه إلا حبه متعاميا عن تثبيط أمه ، ويتزوج وينتقل هو وزوجته وأمه إلى بيت جديد ... انزوجته جميلة ... لازوجية إذن ... عجز عنها ولكن الزوجة راضية . . لم يطق الحال فذهب إلى طبيب يتضح فيما بعد انه قريب أصهاره فيعرف الطبيب عادته التي ظل عليها حتى بعد الزواج فيحاول علاجه . . ولكنه لايفلح فينصرف عنه كامل ليستعين بالخمر فينجح نجاحاً واهيا ويقنع نفسه انه نجح ؛ ولكن الزوجة ترجوه أن يرجع إلى ما كان عليه من روحانية فيرجع راضيا في نفسه وعن نفسه محاولا أن يقنعها انه إنما تقاعس عن رجولته إرضاء لزوجته . وتمشي الحياة به راضية ولكنه رأى في يد زوجته خطابا مزقته حين رآه فثارت في نفسه شكوك ، وذهب يراقب زوجته فيرى فتاة دميمة تغازله فهو جميل ، ويغازلها فهو قذر ، ويخون زوجته التي اتضح من مراقبته لها انهـا بريئة . . وظل هكذا ، دميمته لجسده وزوجتـــه لروحه ، حتى كانت ليلة شعرت فيها الزوجة بوعكة فيطلب اليها أن تبقى بالمنزل فتوهمه أن لاسبب للخوف وتقصد إلى بيت أمها فيشتد بها المرض فتقيم هناك ليلتها ويعود هو من عند

جسده ليجد روحه عندها فيذهب إليها ويقيم معها حتى يعدو الليل إلى النهار، فيذهب ثم يعود إليها قبل ذهابه إلى ديوانه ثم لا يطيق أن يبقى بالديوان أكثر من ساعتين فيعود إليها. ولكن لا. لم يعد إليها بل عاد إلى جسدها. لقد مات كيف؟ أنها عملية قام بها الطبيب الذي عرض عليه نفسه. ولكنه يرى أن الطبيب قام بعملية ليست من اختصاصه فتثب إليه الشجاعة ويبلغ النهاية فيكشف التحقيق عن زوجة خائنة خانته مع هذا الطبيب بالذات فكان ثمرة الخيانة جنينا حاولا التخلص منه، ولكنها ماتت.

يذهب إلى أمه يكاد يجن فيفرغ فيها غضبا جائحا ويتركها ليلقي بنفسه في غرفة غير تلك التي عشق فيها الروح الخائنة حتى إذا كان الصباح نزل إلى القاهرة لا يدري من أمر نفسه شيئا ويقابله صديق يعزيه. لم يكن يعزيه في زوجه ولكن في أمه. لقد ماتت لقد أخرج غضبه في غير موضعه. لقد كانت الأم طريحة الفراش يهددها القلب بالتوقف حتى إذا طالعها من ابنها هذا المنود ماتت.

وهكذا تتوالى عليه المصائب في غير توقف. وهو هو الوعديد الجبان الضعيف يخر لهاوي غيبوبة ثلاثة أيام يرعاه أخوه وأخته حتى إذا أفاق وتذكر خيل اليه أنه وصل إلى حقيقة نفسه. وهو أنه خلق للتصوف؛ ولكن لم يكد يستقر به التفكير على هذا حتى تدخل اليه دميمته. إنها تسأل عن صحته وتسدل الستار.

إن في الرواية بعد ذلك لفتات عبقرية إلى دقائق الحياة ليست غريبة على نجيب ولا هي بغريبة علينا منه. ففي الكلام الذي يقوله الأب لابنه في الزيارة الأولى وفي التحليل العجيب لنفسية المخطىء السكير وفي تبريره الشر واقتناعه به بعقله إلى جانب عاطفته وفي دفاعه المنسجم مع منطقه. في كل هذا اكتمال، بل قمة فنية نجيب خير من يرقاها.

وفي النقاش الدائر بين كامل السكران وبين الحوذي الذي يطلب اليه (كامل) أن يذهب به إلى بؤرة فساد؛ في هذا الحوار لفتات بارعة فترى الحوذي يقول حين يصل (هنا الفساد الأصلي) في هذه السهولة وهذه الوقاحة وترى (كاملا) يألم على رغم سكره حين يوغل الحوذي في الحديث. لفتة بارعة أيضا.

بقي أمر لابد أن أعرض له على من تلقى عبء التكلمات المتحدرة على (كامل). نظرة سطحية للامور تجيب: على القدر. ليس القدر كلها أخطاء بشر. أم مدللة، وجد يدلل الأم. لابد أن ينتج ابن هش. ضعيف النفس يتعلق بالقبح، وما هذا إلا شذوذا في الخلق وعقدة في النفس أودت بحرمة بيته، وهو غني ولم يكن الغباء موهبة عنده، ولكن أمه لم تعط الفرصة لعقله أن يعمل فتجمل، وعرف في نفسه الغباء وعرف فيها الجبن، فاحتقر نفسه، فسقط لو هيأت له تربية صالحة لما سار إلى هوته. أن ذا النظرة السطحية يقول لم لم يهيء له القدر تربية صالحة. ليس القدر. أنه أبوه وجده لأبيه لم يحسن التربية. ولم يثقف ولده فأدمن الخمر وتزوج ولم يصبر على الرجولة الحقة، وفضل الدعة إلى جانب كأسه على أن يحمل نفسه مشقة الالتفات إلى أولاده.

والزوجة الخائنة لم يحسن أهلها تربيتها فسقطت وكان الاحرى بها أن تطالب الطلاق ولا تتردى فيما فعلت، تطالب الطلاق.

ولتستتر بما شاءت ولكن تطلبه.

نجيب إنه لملك تريد أن تقول لنا مامن شر يصيبنا الا من أنفسنا ومامن خير نلقاه الا من الله. ان كنت فقد أحسنت وإن لم تكن فقد قدمت إلى مكتبة القصة قمة جديدة ننتظرها منك وننتظر غيرها وغيرها. صورا عن مصر بشرها وخيرها وعن الناس خيارهم وشرارهم - فالفن الصادق هو مايلهمه وطنك تلك النبعة الخالدة. مصر.

ثروت أباظة

مجلس مديرية المنوفية

يقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم الثلاثاء ٢٤ يناير سنة ١٩٥٠ عن توريد كتب وأدوات مدرسية. تطلب القوائم على عرضحال دمغة مقابل مائة مليم بخلاف ثلاثين مليما للبريد

٣٨٧٩

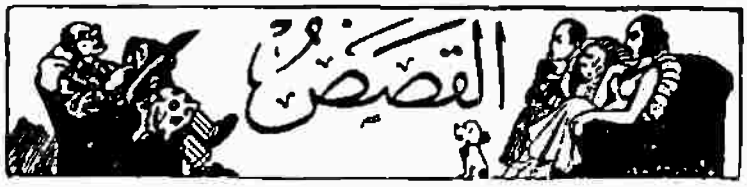

المـــترونوم (١)

للكاتب الأمريكي اوغست دراث

بقلم الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

عندما اســـتلقت على الفراش ، وافها الظلام الخفي اللطيف بردائه ، نضت شقتاها عن ابتسامة جمعت فيها كل ما تشعر به من الراحة بانتهاء الجنازة أخيرا دون أن يشك أحد في أنها والصبي لم يسقطا عرضا في النهر ، أو يخطر على بال أحد أنها كانت تستطيع أن تنقذ ابن زوجها لو أرادت . وها هي ذي لاتزال تسمع كلماتهم « أوه ، مسكينة السيدة فارل ، ما أفظع ما تشعريه » تسمعها ترن خافتة وعلى بعد سحيق ، في ظلام الليل المدلهم .

ان ما شعرت به من تقريع الضمير عندما غاص الطفل في أليم واختفى تحت سطح الماء للمرة الأخيرة ، وعندما رقدت على الشاطىء منهوكة القوى ، قد تلاشى منذ زمن طويل . ولم تعد تفكر كيف ارتكبت ما ارتكبته — بل لقد أقنعت نفسها بأن ضفة النهر قد انهارت قضاء وقدرا ، وتناست التربة المتداعية ، والماء العميق ، والتيار الجارف .

وتحرك زوجها في الحجرة المجاورة . انه لم يشتبه في شيء . لقد قال لها وقد لاحت على وجهه سمات الحزن « لم يبق لي الآن سواك » وما أصعب تلك الأيام الثلاثل الأولى التي مرت عليها . بيد أن اختفاء جيم نهائيا في غياهب القبر قد قلل الشكوك الطفيفة التي انتابتها .

ومع ذلك ، كان من الصعب عليها تصور ما اقترفته . لابد أن منشأه نزوة طارئة . بيد أن نفورها من الصبي وحقدها عليه بسبب الشبه الذي بينه وبين والدته هو الذي دفعها إلى ذلك دفعا ، وذلك المترونوم ! الطفل له من العمر ثماني ســـنوات أن ينسى مثل هـــذه الأشياء الصبيانية . لو كان يعزف على البيانو لاختلف الأمر . ولكنه وهو على هذه الحال ، كلا ، كلا —

كان ذلك كثيرا عليها . ان أعصابها لم تعد تحتمله يوما آخر . ثم عند ما أخفت المترونوم . أثار غضبها بانشاده تلك الأغنية الصغيرة السخيفة التي سمع والتر دامروش يغنيها عند شرحه سيمفونية المترونوم لبتهوفن ، في صباح أحد أيام الجمع ببرنامج الأطفال بالأذاعة . ان كلماتها ، تلك الكلمات الصبيانية التي بعث بها بتهوفن إلى مخترع المترونوم ، كانت تتردد في خاطرها ، وترن في شكل مثير في أركان ذاكرتها :

كيف حالك كيف حالك كيف حالك

ياعزيزي ياعزيزي السيد ملزو

أو ما أشبه ذلك ، فانها لم تكن واثقة من الكلمات ، تلك التي تثابر على التردد في ذاكرتها منذ بدء عزف الجزء الثاني من السيمفونية ، وتقرع كالمترونوم تك ، تك ، تك ، بلا نهاية . ومهما يكن من شيء ، فان المترونوم والأغنية قد ركزا فيها شعور البغضاء نحو ابن زوجة فارل الأولى .

وحاولت أن تنبذ الأغنية من ذاكرتها . وفجأة ، أخذت تتساءل : ترى أين أخفت المترونوم ؟ كان في الواقع لطيف الشكل حديث الطراز ، ذا قاعدة فضية ثقيلة ، وثقل صغير فوق بندول من الصلب يمتد إلى أعلى أمام اللوحة الفضية المنحنية . انها لم تستسلم لأولى نزواتها فتحطمه ، فقد كانت تظن أنها ستصنع منه حلية جميلة بعد ما يرحل جيمي ، ولو أنه كان يخص والدته . ثم فكرت في مارجوت ، لابد وأن تكون مسرورة لأنها بعثت بجيمي إليها .

ألا يجوز أنها وضعت المترونوم في أحـــد أرفف خزانة ملابسها ؟ ربما . . كان من الغريب عليها ألا تذكر شيئا . ورقدت تفكر فيه . كم يكون منظره جذابا عندما تضعه على البيانو الكبير ، حلية فريدة قائمة عليه ، فضة تضارب سواد البيانو . وعلى حين غرة ، اقتحم صوت المترونوم تفكيرها . ما أغرب ذلك ! انها تسمع دقاته الآن في الوقت الذي تتمثله في خاطرها ! وبدا الصوت في غاية الوضوح . تك — تك ، تك — تك — تك — تك . وحاولت دون جدوى التأكد من مصدرها . كان يبدو أنه يزداد دويا وضجيجا ثم يتلاشى . وكان ذلك غريبا عليها . وفكرت ، انه لم يسبق لها أن سمعته

(١) المترونوم آلة تستعمل لضبط الايقاع الموسيقي ، اخترعها ميلزول عام ١٨١٤ . وهو صغير الحجم يتركب من بندول يحركه زنبرك ، يعلو الساعة ، له ثقل فوقه مقياس . وحركة البندول هي التي تقوم بضبط الإيقاع

كما تسمعه الآن ، حتى فى الوقت الذى كان جيمى يمزج معها فيسمعها دقاته . وجعلت تصغى فى انتباه .

وفجأة ، خطر لها ما بعث القشعريرة فى جسدها ، وكتم أنفاسها لحظة . ألم تخبىء الترونوم بعد أن أعطاه لها جيمى لملاء أجل أنها فعلت ذلك . مالم تكن قد خانتها ذاكرتها إذاً ، انه لا يستطيع أن يدق الآن ، لانه فارغ ، لم يملأ بعد . وسرعان ما تساءلت : ألا يكون ارنولد قد وجده وملأه على سبيل المزاح ، ثم جعله يتحرك فى هذا الوقت ؟ وألقت بنظرة على ساعة معصمها . كان الوقت قد قارب الوحدة . انها لاتعتقد أن ارنولد قادر على مثل هذا المزاح ، فهو لابد مخبرها عن وجوده فيقول لها « أنظرى . لقـــد ظننت أنك أخبرتنى بأن جيمى قد فقده . وها أنذا قد عثرت عليه فوق أحد أرففك . ومن غير المحتمل أن يكون قد وضع هناك من تلقاء نفسه » وعاد إليها تفكيرها فى أنها قد خبأته فى مكان ما بعيدا عن متناول يد جيمى . ثم أصغت : تك — تاك — تك — تك — تك — تك . وحدثت نفسها قائلة :

أسمعه ارنولد ؟ ان ذلك بعيد الاحتمال ، فهو دائما ثقيل النوم

وترددت هنيهة قبل أن تقوم وتبحث عن مصباحها الكهربائى فى الظلام . ثم توجهت إلى خزانة ملابسها وفتحت الباب ، ومدت يدها الممسكة بالمصباح تخترق الظلام الدامس ، ثم أصغت. كلا ، لم يكن الترونوم هناك . ومع ذلك ، لم تتمالك من جذب صندوق القبعات جانبا حتى تتأكد . فطالما أخفت بعض الأشياء هناك . وأخيرا انسحبت من الخزانة ووقفت مستندة على بابها المغلق ، وقطبت بين حاجبيها فى غضب : يا الهى ! أكتب عليها أن تسمع هذه الدقات الجهنمية حتى بعد موت جيمى ؟ وتحركت فى عزم صوب باب حجرتها . وفجأة صدم عقلها صوت جديد . هناك شخص يسير على بعد من الباب فى ناحية ما ، يمشى فى خطى خفيفة خافتة .

بطبيعة الحال ، كان تفكيرها منصبا بادىء ذى بد على أرنولد ، وفى الوقت الذى انبعث فيه تفكيرها سمعت صرير فراش زوجها . وودت لو اعتقدت أن الخادم أو الطاهية قد عادت إلى الدار لسبب ما . ولكنها لم تهضم هذه الفكرة السخيفة فى عودة احداهما إلى الدار فى ذلك الوقت المتأخر من الليل ولو لأى سبب . وليس من المعقول أن يكون قد اقتحم الدار لصوص .

وترددت فى وضع يدها على مقبض الباب . وأخيرا فتحته شبه غاضبة وتطلعت إلى البهو ، وقد أمسكت بمصباحها وصوبته . لم يكن هناك أحد . ومع ذلك ؛ ودت لو رأت أحدا هناك . ما أسخف تفكيرها ! وعلى كتفها ثورة حانقة . وفى نفس اللحظة سمعت وقع الأقدام مرة أخرى ، خفيفة بعيدة ، تبدو خافتة الصوت من أســـفل الدرج . وكانت دقات الترونوم قد أصبحت أكثر ترددا ودويا حتى أنها خشيت أن يستيقظ ارنولد بسببها . ثم أقبل صوت غمر كيانها برعب بارد ، صوت صبى ينشد من مكان ناء :

كيف حالك كيف حالك كيف حالك

ياعزيزى ياعزيزى السيد ملزو

وتهالكت متكئة على مصراعى الباب ثم تشبثت به بذراعها الخالية ، وكاد عقلها أن يعصف بها ولكن سرعان ماخفت الصوت وتلاشى ، وظلت دقات الترونوم تتعالى . ومع ذلك شعرت ببعض الراحة عندما استمعت إلى صوته يطغى على أى صوت آخر ووقفت بعض لحظات تشد أزر نفسها . ثم شددت قبضتها على المصباح ، وسارت فى بطء على طول الرواق . وعندما اقتربت من قمة الدرج أحاطت أنبوبة الضوء الصغيرة للمصباح بيدها الأخرى حتى لا يراها من يكون هناك تحت . ونزلت الدرج فى حذر خشية أن يبصر فيكشف وجودها .

لم يكن هناك أحد بالبهو . بيد أنها سمعت صوتا مقبلا من المكتبة . ودفعت الباب فى هدوء فانفتح ، وإذا بدقات الترونوم تبعث وتكتنفها وتغمرها . ولم تستطع أن تميز ما فى الحجرة إلا بعد أن تقدمت بضع خطوات . وإذا بعينيها تلتقيان بشبح صغير مبهم جاثم بجوار الحائط أمامها . ثم أخذ ذلك الشىء يحوم ويحدق فى الرياش ويتطلع إلى أرفف الكتب . واستمعت إلى حركة يدين خفيتين تعبثان فى الأركان ـ أنه جيمى يبحث عن ترونومه .

وظلت دون حراك وقد تهدجت أنفاسها رهبا من رؤية جيمى

الميت ، جيمى الذى شاهدته يدفن فى ذلك الصباح . ولم ينعها عن السقوط فى حالة من الاغماء سوى قوة ارادتها .

وأقبل طيف الطفل . أقبل صوبها ؛ ثم مر خلالها ؛ يبحث ، وينقب ، فى كل ركن يحتمل أن يكون الترونوم مختبئا فيه وظل يدور حولها . وفى مجهود فائق وجدت صوتها ، فهمست فى صوت أجش : اذهب ، أواه ، اذهب بيد أن الطفل لم يبد أن سمع كلماتها ، فقد ظل يوالى بحثه ويطوف فى نفس الأنحاء التى كان قد طرقها من قبل عدة مرات . كانت الدقات اللاحوحة للترونوم لا تزال ترتفع وكأنها طرقات المطرقة تتجاوب فى أرجاء الحجرة وانزلقت يدها فى عصبية مبتعدة عن أنبوبة للضوء عندما مر الطفل بجوارها فشاهدت وجهه ، وعينيه تفيضان شرا ، وقد فارقتهما وداعتهما السابقة ، وفمه الناضب ويديه المنقبضتين .

وفى رعب جارف ، استدارت لتفر منه ، بيد أن الباب استعصى عليها فتحه ، وبعد ثلاث محاولات فاشلة ، جعلت تبحث عن شىء يساعدها على فتحه . كان الطفل بجوارها وقد ارتكن بيده فى خفة على الباب . وكانت لمسته كافية لجعله لا ينفتح ، ثم حاولت مرة أخرى ، وتحرك المقبض فى يدها كما تحرك من قبل دون أن ينفتح الباب . وكان الطفل لا يزال واقفا هناك أمامها ، ثم حاولت فتح النافذة ، فدفعت قفلها بيدها الخالية فلم يتحرك ، وشعرت ، حتى قبل أن تنظر ، أن يد الطفل مستقرة على النافذة بدا شفافة ذات بياض شاحب وقد انحنت قليلا على زجاج النافذة .

ووجدت نفس النتيجة فى نافذة الحجرة الأخرى . وعندما حاولت أن ترفع يدها لتكسر الزجاج لاحظت أن الطفل قد وقف أمامها ، فلم تستطع يدها اختراق الهواء إلى الزجاج وأخيرا استدارت وانسحبت إلى الركن المظلم الواقع خلف البيانو وهى تعول فى رعب وفى لحظة كان الطفل بجوارها . وشعرت به يشيع بردا قارسا مخيفا اخترق رداءها الليل الرفيع .

وأجهشت بالبكاء وهى تقول اذهب ، اذهب ، ثم شعرت بوجه الطفل يقترب من وجهها ، وبعينيه تبحثان عن عينيها ، وتهمانها وبأصابعه الخفية تمتد لتلمسها . وفى صرخة متوحشة من الرعب انفلتت منه هاربة ، وحاولت مرة أخرى فتح الباب الا أن الطفل كان هناك قبل أن تضع يدها على المقبض . وعرفت دون أن تحركه أن محاولاتها ذاهبة أدراج الرياح . ثم حاولت أن تشعل النور ، بيد أنها شعرت بنفس المؤثر الذى منعها من اغتصاب النافذة . ومرة أخرى أخذت تبحث عن ركن مظلم أمين . ولكن الطفل عثر عليها واقترب منها كحيوان يبحث عن الدفء .

وفجأة ، انهارت قواها العقلية وتهاوت ؛ وشعرت بخوف جارف يغزو عقلها . وأخذت تضرب على الجدران المحيطة بها بقبضتى يديها . ثم وجدت صوتها ؛ فصرخت لتتحرر من الرعب الشرير الذى سيطر عليها .

وكان آخر ما شعرت به أن الطفل يجذبها من وسطها بيديه الخفيتين ، ثم سقطت منهالكة بجوار الحائط . وصدمها شىء صدمة قوية فى جبهتها . وفى نفس اللحظة كان جسم الطفل اللين يضغط على وجهها . ثم شملها الظلام .

وفى صباح اليوم التالى وجد أونولد فارل زوجته راقدة بجوار الحائط على مقربة من البيانو الكبير . فركع بجوارها . ودلته خبرته الكافية فى الطب أن زوجه قد اختنقت من شىء رطب ، فقد كانت الرطوبة تشمل ملامحها . ولم يفهم سر رائحة النهر القوية التى كانت تفوح فى الحجرة ، ثم تطلع إلى فوق فشاهد صورة زيتية كبيرة معلقة فوق الجثة ، ولم تكن بالطبع هى التى أحدثت ذلك الجرح فى جبهتها

وعلى حين غرة ، شاهد ماجرح زوجه عند سقوطه من خلف الصورة حيث كان مختبئا ، كان الترونوم .

محمد فتحى عبد الوهاب

(من كتاب « الهورلا وقصص من وراء الطبيعة » للمترجم تحت الطبع)